المشرق

مدافن برج حمود وسن الفيل

للاب راول دبريب اليسوعي احد اساتذة مكتبنا الطبي

في شمالي شرقي بيروت على مسافة كيلومترين منها وراء نهرها يوجد في ارض لبنان قريباً من قريتي برج حمود وسن الفيل بعض مغاور منقورة لدفن الموتى . فهذه المدافن تستحق ذكرًا كآثار لبنانية قديمة فخصصنا لوصفها بعض صفحات المشرق

اذا وصلت الى كنيسة برج حمود المعروفة بدار دومط فلتَّ من الشمال الى الجنوب قاصدًا سن الفيل لا تلبث ان تبلغ الى آكام قليلة الارتفاع ترى في اعلاها على خطّ مستقيم في طول كيلومتر او كيلومترين سلسلة صخور كلسية راقية الى الطور الجيولوجي الثاني . وهذه الصخور على شكل صفائح واسعة ممتدَّة في بعض انحناء وهي ذات صلابة الّا انَّ تحتها طبقات كلسيَّة متفتِّتة يختلط بها شيء من الحرارى الصلصاليَّة البيضاء فهناك أغوار تكوَّن بعضها بفعل المياه وحفر بعضها الآخر الاهلون لاستحضار الكلس الحجري فصارت كاسراب اتخذوها بعد ذلك كمدافن للموتى

*

واوَّل هذه الاسراب موقعهُ على مسافة نحو عشرين متراً من كنيسة دار دومط كان لهُ مدخلٌ مسدود منذ سنين عديدة . فلمَّا عرف المهندس عبد الله افندي طعمه باني البحث عن المغاور المجاورة دلَّني الى منفذ آخر تغطّيهِ الاشواك كان اهل القرية اشاروا بهِ اليهِ كمنفذ الى سرداب سرّي موقعهُ على جانب الطريق المؤدية من بيروت الى جنينة الباشا واسفل منها بنحو متر ونصف

فلما رأيت هذا المدخل لم أعِرهُ بالًا ثم عدتُ فاعتبرتهُ بتأنٍ فرأيتهُ مركّبًا من الصخر الكلسي الشبيه بالصخور المنقورة التي وجدتها في جوار الناحية فاستنتجت من ذلك انَّ هنـاك ايضاً غارًا يتّصل تقريباً على خط مستقيم بمدافن قديمة كنتُ وقفتُ عليها. فبعد البحث وسَبر المكان تحقّقت وجود المغارة. ثم عدتُ اليها بعد ايّام وسعيتُ في تنظيفها وفتحها فأمكنني الولوج اليها ومعرفة حقيقتها

وكان على الباب ركامٌ من الحجارة والاطلال فبعد نزعها ولجنا الى باطن المغارة فاذا هي قاعة واسعة مربّعة مستطيلة مسقّفة وكلها منقورة في الطبقـة الصخريّة الصاصاليّة المارّ ذكرها . وحول هذه القاعة قد حُفرت ايضاً في الصخر بنظـام ست عشرة غرفة مدفنية صغرى يُدخل اليها من القاعة الكبرى اربع منها في وجه الداخل ثم خمس على يمينهِ وخمس على شمالهِ واثنتان على جانبي المدخل كما ترى في الصورة الاولى (ص ٣٢٣)

والقاعة الكبرى طولها تسعة امتار في عرض سبعة. والغرف الصغرى طول الواحدة منها ثلثة امتار في عرض متر وسنتيمترين. وفي احدى هـذه الغرف الصغيرة على سواء الارض ثلثة أضرحة منقورة على شكل عمودي بالنسبة الى طول الغرفـة وكل ضريح طولهُ متران وخمسة سنتيمترات وعرضهُ ٨٠ س . وعليهِ يكون تكسير مساحة المغارة ١٢٠ متراً مربّعاً على التقريب

ثم انَّ علوّ كل غرفة يبلغ متراً ونصف متر اما الاضرحة فعلوّها ٦٠ س. وسقف القاعة الوسطى علوهُ متران و٢٠ س فوق الحضيض الحالي وشكلهُ كالعقد فيهِ استدارة خفيفة . وفي وسط السقف حجرٌ بارز اما طبيعي واما صناعي فيهِ ثقبٌ باشروا بعملهِ كأنهم ارادوا ان يعلّقوا فيهِ شيئاً . وكان لهذا السقف في اقصى بعدهِ عن المدخل كوّتان اعدّهما اصحاب المغارة كما يظهر لتغيير الهواء. الّا انهما قد سُدّتا حديثًا لما فُتحت طريق العربيّات المارّة فوق هذه المغارة على علوّ متر او متر ونصف من سقفهـا . فالعملة سدّوا الكوّتين بحجارة كبيرة يراهما الناظر من داخل القاعة . وفي فصل الشتـاء تسيل مياه الامطار الى المغارة نافذةً اليها من خلال السداد فتصبح شبه بركة كما ترى في الصورة الفوتغرافيّة التي رسمناها بعد امطار شهر آذار الاخيرة

وكانت جدران القاعة الكبيرة مطليّة باللاط صوناً للصخر من التفتّت الّا انهُ بطول

الزمان قد تلف الملاط وتفتَّت الصخر وقد بقي شيء من ذلك الملاط قُترى عليه بعض النقوش الخشبية باون كيد وهي عبارة عن خطوط متوازية تراها فوق سقوف الغرف الثانوية

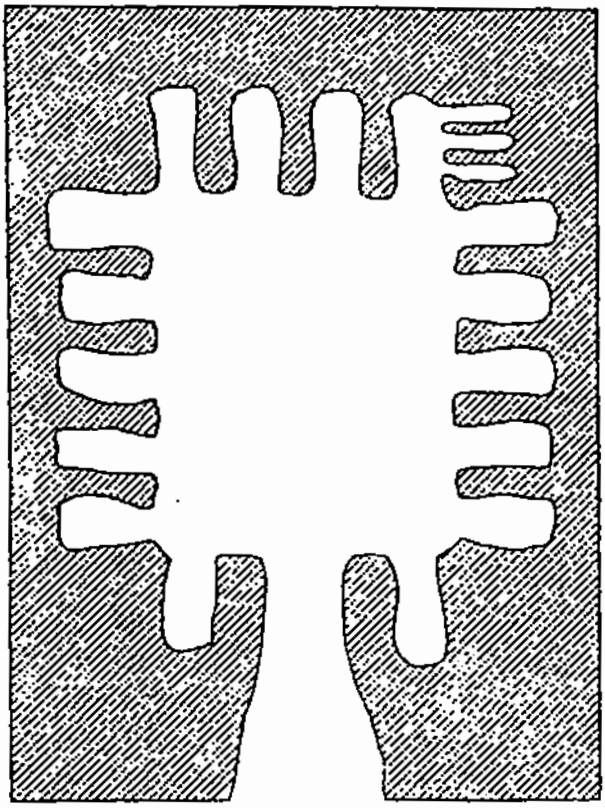

رسم مغارة برج حمُّود ومدفنها القديم

وقد وجدنا معظم تلك الغرف مملوءة بعظام الموتى فمنها ما كان متراكماً مختلطاً ومنها ما كان مبثوثاً بلا نظام خصوصاً في القاعة الكبرى ما يدلُّ على قلَّة اكتراث نحو رمم القبور

ومن هذه العظام ما هو في تمامه والارجح انَّها من جثث قُبرت في المغارة ذاتها لم

يَنالها شيءٌ من أذى تربة المقابر . وبعضها الآخر لاسيما المركومة منهـا في غرفتين او الملحودة في قليل من التراب كانت سابقًا كما يغلب على ظنّنا مدفونة في المقابر ثمّ نُقلت الى هذا المدفن

ويؤيّد ظني هذا ما بلغني من أنّ اكتشاف تلك المغارة قد تمّ اوّل مرّة في عهد متصرف لبنان رستم باشا الذي عُني بفتح الطريق المارّة قريبًا منها فوجدوها ملأى من العظام القديمة . وفي اثناء ذلـك صدر الامر بتحويل مقبرة مار دومط الى محلّ آخر فجُمعت عظامها وجُعلت في جبّانة كنيستها العتيقة . الّا انّ تلك الكنيسة أُخربت بعد مدّة وبُنيت بدلًا منها الكنيسة الحديثة فنُقلت العظام من الجبّانة الى المغارة ثم نقلوا ايضًا أطلال الكنيسة وبقاياها الى ما وراء الطريق فسدّوا بذلك المدخل النافذ الى مدفن برج حمود

ومذ ذاك الوقت اضحت طريق نهر بيروت الى جسر الباشا احد متنزّهات البيروتيين الشائقة فترى كل يوم عجلات الأسر الغنيّة تقطع تلك الطريق ذهابًا وايابًا فيُسمع صوت دواليبها فوق المغارة ويدوي في باطنها دويّ الرعد . ولا خيل لاولئـك المتنزّهين انّ جلبة عجلاتهم تكاد تبعث من سباتهم الموتى المدفونين هنالك

*

دَعنا نواصل السَّير من برج حمّود الى سنّ الفيل . فبعد خمس دقائق ترى على وجه الارض رؤوسًا ناتئة من الصخور الكلسيّة التي سبق لي عنهـا الكلام . فان تقدّمت قليلًا رأيت في وسطها بابًا وجهتُهُ الى الشرق وما ذاك الباب سوى مدخل المغارة المدفنيّة الثانية التي نزيد وصفها

وهذا المدخل كما تراهُ في صورتنا (عدد ٣) يُشبه مدخل المدافن الفينيقيّة القديمة التي ترتقي الى العهد اليهودي الروماني ومثلهُ كثير في جهـات فلسطين فواجهتهُ على شكل مربّع متساوي الزوايا منقورة في الصخر قد قُوّر وسطها ففُتح وعلى جوانب الفتح افريز من الحجر لتُطبَق عليهِ الصفيحة الكبيرة العموديّة التي كانوا يتّخذونها كباب

وبقرب هذا الصخر صخور أُخرى تُرى حولها وفي مقدّمتها منحوتة ايضًا وذلك دليل على انّ هناك وُجدت بناية شيّدوها في مقدّمة المدفن كأكثر أقيم تذكارًا للموتى . ولعلّ المغارة كانت مستندة الى دار أُخرى مأهولة . وهذا عندنا الارجح لأنّنا وجدنا في هذا

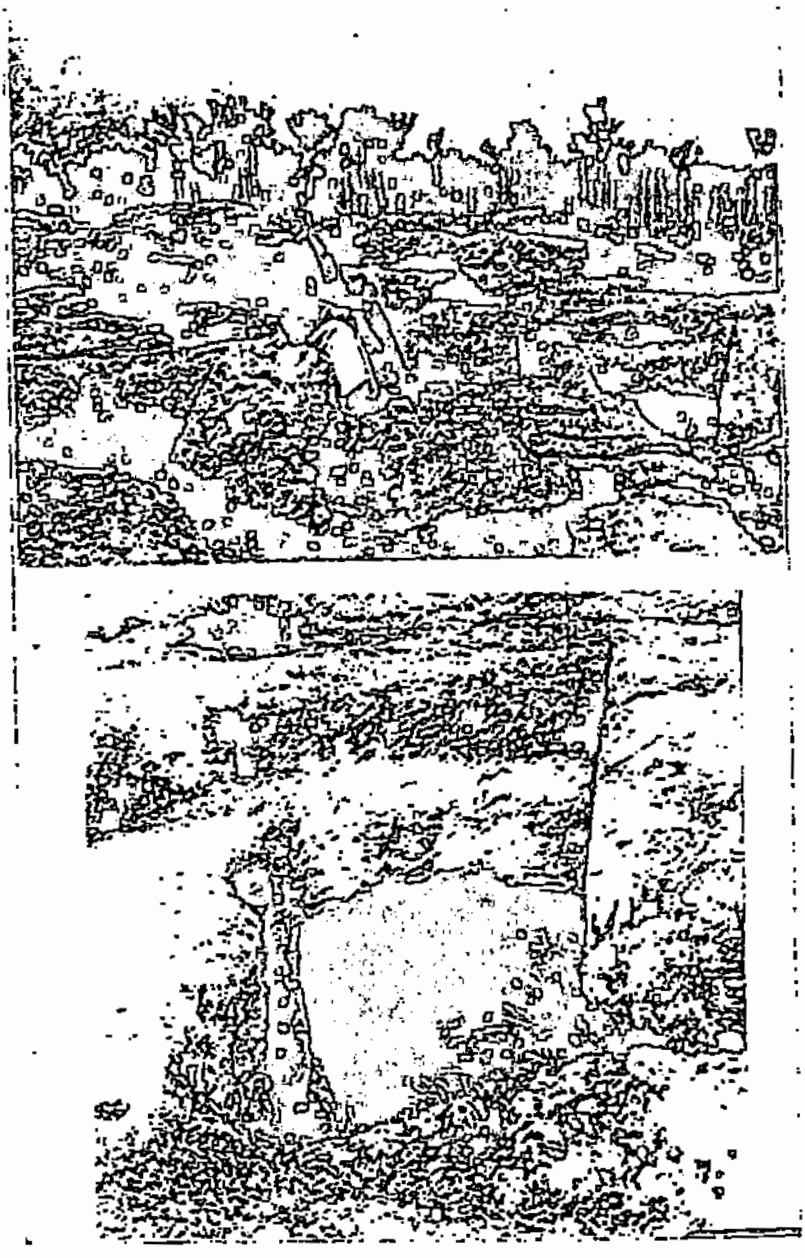

صورة المداخل الى مدافن سنّ الفيل

الأكمة المشرفة على سنّ الفيل ستّة بيوت غيرها قديمة منقورة في الصخر حول المدافن او قريباً منها كأنّ قدماء الاهلين كانوا يدفنون موتاهم بجوار مساكنهم او في داخلها .

وهذه المغارة قياسُها ستّة امتار طولًا في مثلها عرضاً ولا يرتفع سقفها عن مدخلها الّا ارتفاعاً قليلًا . وهو كالسقف الذي سبق ذكرهُ الّا انّهُ يميل في انحناء حتى يبلغ الحضيض كأن الذين حفروا هذه المغارة تتبّعوا تركيبها وانحناءها الطبيعي الذي هو في هذا المكان اعظم من سواه

امّا ارضها فكأرض المغاور الأخرى المجاورة لها تتحدّر الى اسفل والظاهر انّ الفلّاحين كانوا اتخذوها كبيت لدواجنهم فتراكمت على الحضيض ازبالها وقاياتها حتى لم يبقَ شيءٌ من آثار القبور القديمة . ومع هذا ترى على جدرانها من الجانبين اطراف الاجران التي كانت توضع فيها اجساد الموتى

*

وعلى مسافة بعض الامتار من هذه المغارة على المنعطف الغربي موقع مدفن ثالث وهو داخل ساحة مسيَّجة لاسكندر افندي ابي عكر صاحب كرخانة سنّ الفيل لا يُرَى في الخارج من امره شيء . فتمرُّ بجوش كانوا قديماً يصطنعون فيهِ الكلس المتصلّب في الماء وعلى يمينك اتون صغير مُهمل منذ عهد قديم وامامك رحًى كانوا يدقّون فيها قطع الكلس لكنّ حركتها بطلت منذ سنين طويلة وعن شمالك بناية صغيرة من الواح كانت مخزناً . وفي اقصى الحوش باب حديث البناء يظنّهُ الناظر مدخلًا لآخور او لقبو

فدخلنا في هذا الباب واذا امامنا منظرٌ مهيب ادهش عيوننا فبدلًا من الآخور او القبو الذي كنّا في انتظاره لاحت لنا مغارة عظيمة واسعة الارجاء مرتفعة السقف منوّرة بانوار خفيفة اخذ منظرها بمجامع قلوبنا . ولعمري لو رأينا مغارةً كهذه في احد كهوف لبنان وفي باطن اغوارهِ لما كان اخذ منّا العجب مأخذهُ كما جرى لنا عند ولوجنا في هذه المغارة التي انكشفت لعياننا على بغتة في ارض لا تكاد ترتفع عن سواه الحضيض

وقياس المغارة ٢٨ متراً في الطول وعرضها ستّة امتار . وسقفها اعلى من سقوف المغاور السابقة لكنّهُ يختلف في ارتفاعهِ فتارةً يبلغ ستّة امتار وتارة ينحني حتى لا يزيد على اربعة امتار وربّما قلّ عن ذلك . وهذا السقف الطبيعيّ البالغ السمة تسندهُ في وسطهِ سارية ويركز في اطرافهِ على الصخر الاصمّ الذي لم يُنحَت عند حفر القبور

ومن اعتبر هذا الكهف العظيم حسبهُ مغارة سائحٍ او منزل متعبّدٍ مما ألفهُ قدماء النساك في جبال لبنان وغيره . الّا انّ هذه المغارة لم يُبْقِها سكّانها على هيأتها الأولى فانهم سعوا في تحسينها وهندستها وقرروا جدرانها وازالوا تموّاتها وساوَوْا اوقابها ثم جعلوا على جدرانها ملاطاً ليقيها من آفات الزمان وكذلك مهّدوا حضيضها ووطّأوهُ بمركّب من الحوّارى والتربة الصاصاليّة فصار المكان كحجرة رحبة اتخذها اصحابها في توالي الازمان كمحل ثم كمحلّ صناعة لاستحضار صفائح البلاط ثم كمنزل لتربية التزّ واخيرًا كآخور وصوان للعجلات . وقد بقي من هذا الكهف سقفهُ على بساطتهِ القديمة وهيئتهِ الاثريّة شهادةً على اصله

قلتُ ان الباب الذي دخلنا منهُ حديث العهد الّا انّ مدخل المغارة لا يزال سالمًا لحُسْنِ الطالع وهو على صورتهِ الاصليّة بعد ترميمهِ نوعًا وهو مع ذلك في غاية الشبه لمدخل المغارة السابق ذكرها فانهُ على هيئتهِ التربيعيّة واقيستهِ وقد نُقر مثلهُ في الصخر وجُعل لدائرتهِ افريز ليسندوا اليهِ صفيحةً كصفيحتهِ عموديًا . وفي هذا الشبه دليل قاطع على انّ هذه المغاور من اصل واحد جُعلت لغاية واحدة . وما هذه المغارة الّا مدفن قديم وان فُقدت كل آثارها الدالّة على المقصود منها

وفي قعر هذه المغارة كما في مغارة برج حمّود كوّة واسعة لدخول الهواء ومن المحتمل انّ هذا الثقب قد وسّعهُ اصحاب المحلّ فجعلوهُ منفذًا مستديرًا ليجري اليهِ الهواء من الخارج ويستضيء ساكنوهُ باشعّة الشمس

*

وقبل ان نختم هذه السياحة الاثريّة فلنلقِ النظر الى المدافن المتعدّدة التي ترى في اعالي سنّ الفيل . فما يقال عنها بالاجمال انّها كلّها على طرز واحد تكاد اقيستها تتساوى وبعضها مداخل لا يرتفع اعلاها عن حضيض الارض الّا انّها مسدودة ما خلا مدفنين (انظر صورتها ع ٥ و ٦) نُزّلت اطلاعها فتس عليهِ بقيّة المدافن . فترى المدخل مربّعًا يكاد يتساوى طولًا وعرضًا . والمدفن مسقّف فيهِ عادةً ثلاثة اجران لثلاثة من الموتى نُقرت في الصخر على ثلاثة جوانب الغرفة وجهة الباب فارغة وكان الباب يُغلق بصفيحة من البلاط عموديًا كما تدلُّ عليه الثقوب الباقية على دائرة المدخل . وهذه الغرف تكتنفها عادةً منازل يسكنها الناس . ولذلك قد سبق لنا القول بانّ هذه الاقبية

كانت مدافن اهليّة كما يقرّ بذلك الاثريّون في حكمهم عن مدافن فلسطين . امّا عهد هذه الآثار فانّهم يرقّونهُ الى عهد مملكة اليهود والفتح الرومانيّ

وعلى طول المشارف الصخريّة التي تمتدّ عند سنّ الفيل تُرى بقايا قرية قديمة فهناك على مسافة كيلو متر بن آثار منازل منقورة في الصخر كانت تُوهل بالناس بينها اقبية دفنوا فيها موتاهم . وهناك ايضاً صهاريج كانوا يجمعون فيها مياه الامطار بعضها كصهاريج الرومان على شبه زجاجات الخمر والقوارير ممأطة بالكلس المتصلّب في الماء وبعضها مربّعة تختلف اقيستها وكثيرًا ما هي مطويّة في باطنها . وترى هناك بعض القبور المكشوفة على شكل النواويس نُقرت في الصخر الّا انّ اطباقها قد تلفت . وفي كثير من هذه المساكن حُفَر مستديرة قطرها من متر ونصف الى ثلاثة امتار منقورة ايضاً في الصخر كانوا يجعلون فيها المراجل او يركّبون المعاصر

وكل هذه الآثار قديمة بلا مراء غير انك لا تجد عليها كتابةً او رسماً او دليلًا ما تستند اليه لتعريف اصلها او زمانها بضبط . وممّا يرشدنا الى ذلك غير الادلّة السابق ذكرها من صورة المداخل وهيئة الصهاريج ما يُشاهَد على طرف تلك القرية القديمة جنوباً فهناك فضاء واسع ترى فيه قطعاً من الخزفيّات الرومانيّة كالخزفيّات المكتشفة في اطراف بيروت او في جهات الرمل المجاور لها

وزيادة على ما مرّ بك دليل آخر على زمن تلك المقابر ما يوجد فيها من قطع الحجريّات التي ألفها الرومان القاطنون في فينيقية . اما ملاط الصهاريج المذكورة الشبيهة بالقوارير فانّهُ كملاط الصهاريج الرومانيّة المكتشفة في هذه الجهات . وكذلك كعوب الفسيفساء فانهُ يوجد منها كمّيّة في الاماكن التي نبحث عنها وهي كقطع الفسيفساء التي كان الرومان يبلّطون بها منازلهم في هذه البلاد وفي رمال بيروت ونواحي المدينة كثير منها

فكلّ هذه الدلائل تؤدي بنا الى القول الراجح بانّ الآثار الموجودة في مشارف سنّ الفيل راقية الى عهد دولة اليهود وفتح الرومان . ومن هذه الآثار المقابر التي وصفناها آنفاً فلا بُدّ اذًا من ترجيح كونها من الوقت عينهِ

ثم انّنا نعرف ان المدافن الاهليّة كانت تعمّ جهات لبنان الّا ان الاغوار التي اتّخذوها لهذه الغاية هي اقدم عهدًا فدفنوا موتاهم حيث سبق غيرهم الى حفرها . وكثيرًا

ما جعلوا تلك الاغوار كمستودع للعظام مما نقلوهُ من المقابر او اقبية الكنائس . كما ذكرنا في وصف مغارة برج حمّود . ولا جرم انَّ ابحاثاً جديدة تزيدنا افادة عن ذلك وتؤدي بنا الى تحديد زمن هذه الآثار القديمة

وما لا ينكرهُ أحد انَّ موقع برج حمّود وسنّ الفيل بين لبنان ونهر بيروت لمن احسن المواقع التي يستطيع سكناها البشر لطيب هوائها وبرودة نسيمها حتى في فصل القيظ فلا ريب انَّ الناس استوطنوها منذ سالف الأيام . وعلى ظننا ان بني آدم اتخذوا هذا المكان فاستعمروهُ قبل الزمن التاريخي في طور الظرّان والدليل على ذلك ما يوجد في منعطفيّ روابيهِ من أدوات الظّران كالفؤوس الحجريّة والمقاطع والشفار والنصال المحدَّدة والمساحي التي تُرى منبثّة في تلك الجهات فناهيك بهذا شاهداً على قدم سكنى الانسان في موقعها . والسلام

سلسلة اساقفة الملكيين

لحضرة الاب الخوري الفاضل الاب كيرلس شارون (تابع لما سبق)
انظر السنين السابقة من المشرق

٧ قارا

قارا مدينة قديمة في سوريّة المجوَّفة وراء الجبل الشرقي شمالي النبك تبعد ثلاث مراحل عن دمشق كان لها كرسيٌّ اسقفيٌّ وقد ذكرها لوكيان في الشرق المسيحي (١ الّا انَّهُ لم يثبّتها فدعاها *Ecclesia Comes Charraram* . ونسب اليها اساقفة كانوا على غيرها كاساقفة لارسا وحرّان ومن مزاعمهِ انَّ اوّل اساقفة قارا جيرنسيوس وقد بيَّن گلزر (Gelzer) في تأليفهِ عن آباء المجمع النيقاويّ انَّ هذا كان اسقفاً على لارسا وكذلك روى لوكيان بين اساقفة قارا المسمّى يوحنّا وقد اشتبه عليهِ اسم كرسيهِ الاسقفي فرواهُ على صور شتّى لا يمكن تحقيقها . كما انهُ جعل في عداد اساقفة قارا احد مشاهير الكتبة الملكيين ثاردورس المعروف بابي قرّة واغلب كان هذا كما ثبت اليوم اسقفاً على حرّان

١ (دادا) لعلَّهُ الاسقف الوحيد الذي ذكرهُ لوكيان فنستطيع ان ننسبهُ الى

(١ اطلب كتابهُ (Lequien : *Or. Chr.*, II, 849—850,)

مدخل منارة اتخذت سابقاً كمدفن

منارة برج حمود الدفنية

كرسي قارا . واسمهُ مع التصريح باسم كرسيّهِ مدوَّن في جملة الآباء الذين أمضوا اعمال المجمع الخلقيدوني في آخر جلستهِ السادسة لكنَّهُ لم يحضرها وقد ناب عنهُ بالامضاء مطران دمشق ثاودوروس كما ترى في مجموع اعمال المجامع لمانسي (١ وامضاؤهُ على ما رواهُ لوكيان « Δάδα πόλεως Χανανάιων » وقد تصحف ايضاً اسم المدينة في آخر رسالة امضاها دادا المذكور وهي الرسالة التي وجَّهها اساقفة دمشق الى ملك الروم لاون الاوَّل سنة ٤٥٧ فيدعى اسقف قارا هناك « episcopus Comoranus (٢ »

٢=٨ (كرستوفورس) في خزانة الكتب الشرقيَّة المصونة في المتحف البريطاني (٣ انجيل مخطوط بالسريانيَّة بالقلم الملكي ففي ظهر الصحيفة ١٦٢ كتابة بخطّ ميخائيل احد اساقفة قارا عاش على ما يظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . وفي الكتابة يذكر اسماء ثمانية من اسلافهِ على كرسيّهِ دون ان يعرّف زمانهم . وكل هؤلاء لا ذكر لهم في الآثار التاريخيَّة اللهم الَّا واحد منهم المسمَّى اثناسيوس . واوَّل اسقف دوَّن ميخائيل اسمهُ يُدعى كرستوفورس يليه اسطفان ثم يعقوب ثم لوقا ثم سمعان ثم سرجيوس ثم يوسف ثم اثناسيوس

٩ (اثناسيوس) المذكور في جدول ميخائيل السابق قد ورد ذكرهُ ايضاً في ورقة تُرى اليوم ملصوقة على احد مخطوطات خزانة القبر المقدَّس (٤ . والمخطوط المذكور عددهُ ٤٠٨ ومحلّ الورقة في الصحيفة ٨١ وهي مكتوبة باليونانيَّة الَّا انَّ لهجتها عاميَّة كثيرة الاغلاط . ولنا شاهد آخر على اسقفيَّة اثناسيوس (٥ المذكور تجدهُ في كتاب الانجيل الموصوف آنفاً الذي فيهِ جدول ميخائيل . فهناك توقيع باسم اثناسيوس مع تاريخ ذلك التوقيع في ٨ (؟) آذار سنة ١١٣٦ م

١٠ أ (ميخائيل) هو صاحب الكتابة المتضمنة لقائمة اساقفة قارا . وزمانهُ يُعرف

---

١) اطلب مجموع اعمال المجامع لمانسي (Mansi : *Collectio Concil.*, VII, 169)

٢) راجع مانسي (Mansi, VII, 559)

٣) Fonds Syriaque, n° 250

٤) اطلب تقويم تلك الخزانة (Catal. de Papadop.—Kerameus. II, 526) في المخطوط اليوناني المذكور في وجه الصحيفة ١٦٢

٥) في وجه الصحيفة ١٦٢ من مخطوط لندن

بالترجيح اذ قام خلفاً لاثناسيوس اعني في اواسط القرن الثاني عشر او في قسمه الاخير

١١ (افثيموس) في الانجيل السرياني الملكي السابق ذكرهُ كتابة لاحد اصحاب افثيموس اسقف قارا يقال فيها انَّ افثيموس هذا توفي في ١٧ تشرين الثاني من السنة ١٢٥٩

١٢ (يوحنَّا) جاء ذكرهُ في كتابة معلَّقة على المخطوط اليوناني الموسوم بعدد ٥٣٤ من مخطوطات القبر المقدَّس (١ في ظهر الصحيفة ٦٠ يقال في تلك الكتابة انَّ وفاة يوحنَّا اسقف قارا حدثت يوم الثلثاء في ١٠ ايار من السنة ١٤٢٩ . واسمهُ مذكور ايضاً في آخر كتاب سواعيَّة مخطوط بالقلم السرياني الملكي في برلين (٢ في وجه الصحيفة ٢٥٨ كما يأتي: « كتبهُ الحقير في الاحبار حنا اسقف . . » وقد سقط اسم المدينة وهي قارا بلا شكّ لانَّ الكتاب وُجد في دير عطيَّة قريباً من قارا وتاريخهُ يوافق زمن يوحنَّا اسقف قارا

١٣ (مكاريوس) يُستدلّ على اسقفيَّتهِ وزمانهِ من كتابين مخطوطين بالسريانيَّة والقلم الملكيّ في خزانة كتب برلين احدهما عددهُ ٣١٦ ورد في آخرهِ انَّ كاتبهُ مكاريوس اذ كان اسقفاً على قارا . والكتاب الآخر عددهُ ٣٠١ مكتوب في احدى صحائفه في ظهر الصحيفة ١٩٤ انَّهُ تمَّ في ١٠ آذار سنة ١٤٧٨ في ايَّام مكاريوس المذكور . فلم يقع اذن موته الَّا بعد هذا العهد

١٤ (*) خُتم الكتاب السرياني الملكي المصون في برلين تحت العدد ٣٠٣ بكتابة عربيَّة بالشعر العامّي في ظهر الصحيفة ١٥٩ منها كتابة مؤدَّاها انَّ كاتبه « ابراهيم بالاسم كاهن ابن اخت اسقف قارا في السنة ١٥ — » فالتاريخ كما ترى غير كامل لا يمكن قراءته الَّا ٧٠١٥ (١٥٣٧) للمسيح . اما ابراهيم المذكور فمن المحتمل ان يكون هو الكاتب المسمَّى باسمهِ الذي خطَّ في هذا العهد مخطوطات اخرى وهناك يدعو نفسه « ابراهيم ابن مقاريوس اسقف قارا » . ولعلَّهُ غيرهُ لانهُ هنا لا يُذكر اسم الاسقف ويدعو نفسهُ « ابن اخت » الاسقف ليس ابن الاسقف ومن ثم يكون الاسقف غير مكاريوس

١) اطلب خزانة كتبه (Pap. —Kerameus. II, 379)

٢) اطلب تقويم مخطوطات برلين السريانية للعلامة ساخو (Cat. Sachau, N° 299)

١٥ (يواصاف) عند جناب الكاتب الاديب حبيب افندي زيات (١ قنداق (κοντακάριον) كتبه بيده يواصاف اسقف قارا يوم الاربعاء في تشرين الثاني من سنة تاريخ آدم ٧١٣٩ (١٦٣١ م) . ثم جمع يواصاف المذكور كما سترى اسقفيّة مدينتي صيدنايا وقارا وتوفي سنة ١٦٤٦ او ١٦٤٧

١٦ (غريغوريوس حدّاد) كان اصلهُ من دير عطيّة ثم صار كاهنًا عالميًّا بوضع ايدي البطريرك كيرلس طانس الذي دعاهُ متّى ثم ترهّب في دير المخلّص حتى سقّفهُ على قارا البطريرك غير القانونيّ اثناسيوس جوهر قبل انتخابه الشرعي لذلك المقام سنة ١٧٦٠ وتسمّى غريغوريوس . فبقي على قارا الى السنة ١٧٦٨ وفيها اعلن بطاعته للبطريرك الشرعي ثاوضوسيوس دهّان الذي وكلهُ بتدبير كرسيّ بيروت مع كرسيّ قارا . وكانت وفاتهُ سنة ١٧٩٥ في دير المخلّص

١٧ (يوسف صفر) رسمهُ مطرانًا على قارا البطريرك مكسيموس الثاني حكيم في وقت تسقيف اثناسيوس جوهر لغريغوريوس حدّاد عليها (٢ . وقد ورد اسمهُ كمطران قارا في التقارير التي كُتبت في امر النزاع بين اثناسيوس جوهر ومكسيموس حكيم وفي صكّ انتخاب اثناسيوس جوهر ثانيةً سنة ١٧٦٥ (٣ . وكذلك ذُكر في رسوم الرهبنة الشويريّة التي اثبتها البابا اقليمس الثالث عشر في ٢٢ ايلول سنة ١٧٦٤ ويُدعى فيها اسقف قارا ثم اضاف الى ذلك اسم اسقفيّة حمص شرفًا وتوفي سنة ١٨١٠ . وهو آخر اساقفة قارا

٨ اساقفة بيروت

اطلب في المشرق (١ : ١٩٦ — ١٩٨) ما قيل في مدينة بيروت وتاريخها وهاك ما يُعرف من امر اساقفتها الملكيين . وليس اوّلهم جنّاديوس كما روى حبيب افندي الزيّات في خزائن كتب دمشق (ص ١٦٢) نقلًا عن يولس بن زعيم الحلبيّ في تاريخ بطاركة انطاكيّة فان كلزر (٤ صحّح ذلك وبيّن انّ جناديوس كان احد اساقفة اقليم

١) اطلب كتابهُ خزائن كتب دمشق وضواحيها ص ١٥٧
٢) اطلب التواريخ الشويريّة نسخة دير حريصا (ج ٢ ص ١٢)
٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣)
٤) اطلب كتابهُ في آباء مجمع نيقية (Patrum Nic. nomina p.64,)

عربيَّة وان رواية اسمهِ هناك Γενάδιος Ἐφρούδων اي جنّاديوس ب يبوندون ويبوندون هذه في عبر الاردن هي حشبون او حسبان

١ (اوسابيوس) اسقف يبرود احد الذين امضى باسمهم في المجمع الخلقيدوني ثاودورس رئيس اساقفة دمشق . فيكون اوّل اسقف معروف ليبرود (١

٢ (توما) كان هذا مشايعاً لبدعة القائلين بالطبيعة الواحدة فنفاهُ الامبراطور يوستينوس اذ لم يقبل المجمع الخلقيدوني بعد حرم الآباء لساويروس الانطاكي (٢

٣ (اليّا) هو الاسقف الذي لهُ وضع القديس يوحنّا الدمشقي كتابهُ دستور الايمان (περὶ ὀρθοῦ φρονήματος) فقدّمهُ اليّا لبطرس مطران دمشق كما مرَّ في ترجمة بطرس (اطلب المشرق ١٢ : ١١٤ واعمال آباء اليونان لمين ج ٩٤ ص ١١٢١)

٤ (يواكيم) اسقف يبرود كان في القرن الخامس عشر وقد ذكر عنهُ بولس بن زعيم في تاريخ بطاركة انطاكية انهُ حضر سنة ١٤٥١ انتخاب مرقس اسقف صيدنايا لكرسي انطاكية البطريركيّ (٣

٥ (يوحنا) نقل المشرق (٥ : ١٥١—١٥٢) نبذةً عن احد مخطوطات حمص العربيَّة ألف سنة ١٥٧٢ وكُتب في اوائل القرن الثامن عشر بيد يوسف بن عبد الله ابن يوسف الشدياق من كفر خلدا في ناحية البترون فيُقال هناك انَّ يوحنّا اسقف يبرود سنة ١٥٣٩ وحضر مجمعاً ملّيًّا عُقد في قارا

٦ (اثناسيوس) كان هذا من بلدة دير عطيَّة وكان اسمهُ قبل تسقيفهِ ابراهيم وكان راهباً اذ يدعو نفسهُ بالتوحّد . فاقامهُ مكاريوس الثالث اسقفاً على يبرود ومعلولا . امَّا تاريخ ذلك الواقع فكان كما روى بولس بن زعيم ونقلهُ عنهُ جناب حبيب افندي زيّات (خزائن كتب دمشق ص ١٦٢) في ١٥ شباط سنة ١٦٤٧ . وفي الامر نظر لانَّ مكاريوس لم يجلس على الكرسي الانطاكي الّا في ١٢ كانون الاوّل سنة ١٦٤٨ فلا بُدَّ من تأخير اسقفية اثناسيوس ما لم يُقَلْ انهُ سُقّف على يد سلفهِ انتيشيوس الساقزي

---

١) اطلب بحسب المجامع للماني (Mansi, VII, 169)

٢) اطلب تاريخ ميخائيل الكبير السرياني حيث نقل كلام يوحنّا الاسيوي (Michel le Syrien II,172)

٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٢)

٧ (جرمانوس) كان جرمانوس اسقف يبرود احد الاساقفة الذين انتخبوا لكرسي انطاكية بعد مكاريوس الثالث حفيدهُ الكاهن قسطنطين زعيم سنة ١٦٧٣ وتسمّى كيرلّس الخامس (١

٨ (غريغوريوس حدّاد) من الرهبانيّة المخلصيّة. سبق لنا القول في ذكر اساقفة قارا بانّ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان وكلّ الى هذا الاسقف سنة ١٧٦٨ تدبير كرسي يبرود فتولى الامر الى سنة وفاتهِ سنة ١٧٩٥

٩ (يوسف صفر) قلنا سابقاً بان يوسف صفر خلف غريغوريوس حدّاد في اسقفيّة قارا وتدبير ابرشيّة يبرود الى وفاتهِ سنة ١٨١٠

١٠ (اكليمنضوس مطران) بعد وفاة يوسف صفر أُلحقت ابرشيّة يبرود بابرشيّة بعلبك فسامها السيّد اكليمنضوس مطران الراهب الشويري. وفي سنة ١٨١٩ اثار بطريرك الارثدكس سرافيم الاضطهاد على الكاثوليك فجاء اكليمنضوس مطران الى يبرود وسكنها الى وفاتهِ في ٣ تموز سنة ١٨٢٧

١١ (اثناسيوس عُبَيْد) خلف هذا اكليمنضوس مطران في اسقفيّة بعلبك ونظارة ابرشية يبرود فبقي في تدبيرها الى ان طلب منهُ استعفاءهُ السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم ليقيم بدلاً منهُ غريغوريوس عطا. توفي السيد عُبيد سنة ١٧٥٠

١٢ (غريغوريوس عطا) كان مولدهُ في زحلة في ١٤ نيسان سنة ١٨١٥ ثم دخل في الاكليروس العالي فعهد اليهِ السيّد مكسيموس مظلوم اسقفية يبرود في ٢٠ شباط سنة ١٨٤٩ واضاف اليها كرسي حمص وحماة . كانت وفاتهُ في ٣ كانون الاوّل سنة ١٨٩٩ بعد ان دبّر ابرشية يبرود نيفاً وخمسين سنة

١٣ (فلابيانوس كنوري) خلف السيد غريغوريوس عطا في مقامهِ على حمص وحماة ويبرود في ٢١ ت ٢ سنة ١٩٠١ وهو يدبّر اليوم تلك الابرشية بغيرة ونشاط. ومولد سيادتهِ الحنشارة ثم دخل الرهبنة الشويريّة

٩ اسقفيّة تدمر

تدمر هي المدينة العجيبة الشهيرة بابنيتها وآثارها العاديّة وتملك الملكة زنوبيا (زينب)

١) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣)

عليها (اطلب المشرق ١ : ٤٩٦ الخ) وهذا ما يعرف من امر اساقفتها :

١ (مارينوس) ورد اسمهُ في جملة الاباء الموقعين على اعمال المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ (١

٢ (يوحنّا) امضى ثاودوسيوس مطران دمشق اعمال المجمع الخلقيدوني في جلسته السادسة باسم يوحنا اسقف تدمر الخاضع لكرسيه . وقد تكرَّر اسمهُ ايضاً في سنة ٤٥٧ في ذيل الرسالة التي كتبها اساقفة اقليم دمشق لمّا قُتل بروتاريوس الاسكندري (٢

٣ (يوحنّا) كان هذا من مشايعي ساويروس الانطاكي فامر الملك يوستينوس بان يُطرد من كرسيه سنة ٥١٨ (٣

٤ (يواتيس) كان هذا من بيت السامري ودخل الرهبنة الحنّاويّة الشويريّة ثم أُقيم اسقفاً على تدمر في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر ولا نعرف عنهُ الّا القليل

٥ (مكاريوس سابا) سُقّف على تدمر شرفاً في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ وعُهدت اليه النيابة البطريركية على القطر المصري . وسيادتهُ مولود في حلب سنة ١٨٧٤ . وقد بقي كرسي تدمر شرفيًّا عند الروم الارثدكس ايضاً . وممن أُقيموا على هذا الكرسي اثناسيوس رئيس دير القديس سبيريدون في بلاد الفلاخ سنة ١٨٣٠ ثم ساروفيم احد الاساقفة الذين ردُّوا دعوة البابا بيوس التاسع لحضور المجمع الفاتيكاني(٤

١٠ اسقفيّة زحلة

كرسي زحلة حديث العهد . وقد ظنّ البعض ان زحلة كانت تدعى سابقاً سلوقيـة والصواب انَّ سلوقيـة مدينة على مصبّ نهر العاصي وهي التي تُعرف اليوم بالسويديّة وانّما العرب دعوها بهذا الاسم نقلاً عن تآليف البوزنطيين الذين يسمُّونها « Σουέδιον » كما دعتها الكاتبة حنّة كومنان . فلمّا دخل العرب بلاد الشام نقل الروم كرسي السويديّة الى معلولا فبقي عليها اسم سلوقية حتى بعد انتقال اصحابها الى زحلة فيدعو الروم في

١) اطلب جدول آباء نيقية (H. Gelzer : *Patrum Nicen. Nomina*, 14, 82, 100)

٢) اطلب مانسي (Mansi VII, 169 et 559)

٣) اطلب تاريخ يوحنّا اسقف آسيا منقولاً في تاريخ ميخائيل الكبير (Michel le Syrien II, 172)

٤) اطلب منشورات مكتب رومانية (Documents inédits de l'Acad. Roumaine)

يومنا اسقف زحلة بصاحب سلوقية (١ . امّا الروم الملكيون الكاثوليك فانّ اساقفتهم فيها دُعوا اوّلًا باساقفة فرزل والبقاع منذ سنة ١٧٢٤ ثم اضافوا اليها زحلة وذلك سنة ١٧٧٤

١ (اثيموس) بعد وفاة اثناسيوس جوهر قام الحزب الكاثوليكي في الشام وطلب لهُ خلفاً كاثوليكيًّا خاضعًا للكرسيّ الرسولي فاختاروا سارونيم طاناس ابن اخت اثيموس صيفي اسقف صيدا الّا انّ القوانين كانت تقضي بوجود ثلاثة اساقفة لتكريس البطريرك فسقّف ثاوفيتوس نصري اسقف صيدنايا وباسيليوس فينان اسقف بانياس احد كهنة مدلولا المسمّى اثيموس فجعلاهُ اسقفًا على الفرزل ثم اجتمع الثلاثة الاساقفة وقلّدوا البطريركية كيرلّس طاناس في ٢٠ ايلول سنة ١٨٢٤

وكان اثيموس من الرهبانيّة المخلّصيّة . توفي سنة ١٧٧٥ على رواية القس انطون بولاد سنة ١٧٦٨ كما روى في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين وكانت وفاتهُ في مزرعة القريعة ودُفن بدير المخلّص

٢ (يوسف فرحات) قال القس انطون بولاد كان من المحترفين ونذر الرهبانيّة سنة ١٧٣٨ وارتسم كاهنًا سنة ١٧٤٥ ثم صار اسقفًا على كرسيّ الفرزل فسامهُ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٥ وتوفي في زحلة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٣

٣ (باسيليوس جبله) وقيل الجبلي اصلهُ من بيرود دخل الرهبانيّة المخلّصيّة ونذر فيها سنة ١٧٥٢ وصار كاهنًا سنة ١٧٦٠ . ولمّا كانت السنة ١٧٩٥ اختارهُ البطريرك كيرلّس سيّاج اسقفًا على الفرزل وزحله وبقي في تدبير كرسيّهما الى سنة وفاتهِ ١٨١٢ . هكذا روى القسّ انطون بولاد بخط يدهِ في آخر التوخيكون الذي ألّفهُ القس يوحنّا العجيمي في نسخة مكتبة الآباء اليسوعيين (ص ٣٥٠) وفي تاريخ طائفة الروم الملكيين للمطران غريغوريوس عطا (ص ١٩٤) بعض اختلاف في السنين

٤ (مكاريوس الطويل) كان دمشقيّ الاصل تقدّم في دير المخلّص ونذر النذور الرهبانيّة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٩ ورقي برتبة الكهنوت سنة ١٧٧٩ وصار رئيسًا عامًّا لرهبانيّتهِ ثم رسمهُ البطريرك اغابيوس مطر اسقفًا على الفرزل وزحله سنة ١٨١٢ لكنّهُ لم يدبّره الّا سنة واحدة اذ وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركي في

---

(١) اطلب كتاب تشاكوني Cecconi, III,71

العام التالي سنة ١٨١٣ في ٢٩ ت ٢ وتوفي في ٣ ك ١ سنة ١٨١٥ ودُفن بكنيسة دير المخلّص

٥ (اغناطيوس عجُوري) كان حلبيّ الاصل ومن اكليريسه العلمانيّ وسقّف على كرسي ديار بكر بيد البطريرك اغناطيوس القطّان ثم نقلهُ الى كرسي الفرزل وزحلة سنة ١٨٥٦ فدبّره الى سنة وفاتهِ في آب من السنة ١٨٣٤ . وعُرف بهمّتهِ وتقواهُ وهو اوّل من طاف في شوارع زحلة بالقربان المقدّس فانقطع بسبب ذلك الطاعون الفاشي فيها(١

٦ (باسيليوس شاهيات) اصلهُ من حلب واخوهُ هو غريغوريوس اسقف حلب الذي مرّ ذكرهُ (المشرق ١١ : ٥٤٣) وكان كلاهما من الرهبانيّة الشويريّة ففي ٧ ايّار سنة ١٨٣٦ سُقّف باسيليوس على كرسيّ الفرزل وزحلة بوضع ايدي الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم فبقي عليهِ الى سنة وفاتهِ في ١١ كانون الثاني ١٨٦٤ . ومن آثارهِ تشييدهُ لكنيستهِ الكاتدرائيّة في زحلة

٧ (امبروسيوس عبده) هو ابن ميخائيل عبده اصلهُ من حلب سيم اوّلًا اسقفًا على القلّاية الاورشليميّة سنة ١٨٦٠ فبعد وفاة السيد باسيليوس شهيات نقلهُ البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٦٦ الى كرسي الفرزل وزحلة فباسهُ بغيرة عشر سنوات ثم استقال في ٢٨ كانون الاوّل ١ سنة ١٨٧٥ وعاد الى اورشليم فتوفّي في العام هناك المقبل

(ملاتيوس فكّاك) اصلهُ من دمشق وفيها ولد سنة ١٨٢٩ وبعد ان خدم مدّة في دوائر الحكومة خصّ نفسهُ لخدمة الله وانضمّ الى اكليريوس زحله واختارهُ مدّة السعيد الذكر البطريرك اكليمنضوس يحُوث كاتبًا لاسراره ثم رُقّي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٥ وصار نائبًا بطريركيًّا . ولمّا استقال السيد امبروسيوس عبدُه سنة ١٨٧٥ سقّفهُ كخلف لهُ على كرسي فرزل وزحلة والبقاع البطريرك غريغوريوس يوسف في ٢٣ ت ٢ ١٨٧٦ وبعد ثلاث سنوات نُقل الى كرسيّ بيروت فدبّر ابرشيّتها الى سنة وفاتهِ في ١٦ تموز سنة ١٩٠٤

٩ (اغناطيوس ملُّوك) كان مولده في بعلبك في ٢٣ نيسان سنة ١٨١٥ وسُمّي جرجس ثم خدم كرسي زحله بصفة شمّاس وكاهن اسقفي ونائب بطريركي

١) وقد اثنى على فضائله الاب مبارك بلانشة اليسوعي وكان قدم حديثًا الى بلاد الشام لاستئناف الرسالة اليسوعيّة فيها Rabbath : *Documents inédits* II, 131—133

وايكونومس نحو اربعين سنة حتى جلس عليه برتبة اسقف في ١٨ ايلول سنة ١٨٨١ ودُعي اغناطيوس. توفي سنة ١٨٩٨

١٠ (كيرلُس مغبغب) هو المطران الحالي. تلقّى الدروس الدينيّة في رومية واقيم رئيساً على مدرسة عين تراز وقد اختاره البطريرك بطرس الجريجري خلفاً للسيّد اغناطيوس ملُوك فسامهُ في الاستانة في ٢٨ ايّار سنة ١٨٩٩. وقد تجوّل مدّة في انحاء اوربّة واميركا لتحسين شؤون كرسيّه وسيادتهُ معروف بفضله وغيرته ادامهُ الله زمناً طويلاً لخير ابنائه

١١ اسقفيّة الزبداني

الزبداني بلدة في البقاع في لحف لبنان عند منتصف طريق السكّة الحديديّة بين دمشق وبيروت شهيرة بخصب تربتها وكثرة انهارها

١ (*) جاء في اعمال البطركيّة القسطنطينية (١ ان ميخائيل الثاني خلف البطريرك باخوميوس على كرسيّ انطاكية سنة ١٣٦٧ او ١٣٧٠ ارسل الى القسطنطينية صورة ايمانه (٢ مع اسقفين احدهما مطران هليوبوليس اي بعلبك والثاني اسقف زبدايا (Ἐπισκόπου Ζαβδαίου) فزبدايا هذه على ما نرى هي الزبداني ما لم يُقل انّهُ عالم الاسقف المرسل الّا انهُ يرجح انّ زبدايا اسم بلدة فكما دعا الاوّل مطران بعلبك دعا الثاني اسقف الزبداني

٢ (ميخائيل) افاد الارشيدياقون بولس زعيم في تاريخهِ بان مجمع الاساقفة انتخب لبطريركية انطاكية في سنة ١٤٥١ مرقس اسقف صيدنايا فتسمّى ميخائيل الرابع وكان من جملة المنتخبين ميخائيل اسقف الزبداني (٢

٣ (*) وصف الاب لويس شيخو في المشرق (٥: ٩٥١—٩٥٢) كتاباً مخطوطاً فيهِ اسماء عدّة اساقفة من جملتها اسم احد اساقفة الزبداني في تاريخ سنة ١٥٢٩ والكتاب طقسي خُطّ سنة ١٧٥٢ واسم الاسقف محوٌ يقال هناك انّهُ اسقف الزبداني.

---

١) اطلب Miklovich et Müller : *Acta Patr. Const.*, II, 248—9

٢) اطلب خزائن كتب دمشق لحبيب افندي الزيّات (ص ١٠١)

٤ (يواكيم) قد وقّع يواكيم اسقف الزبداني (ἐπίσκοπος Ζηβατανίου) مع كيرلس دبّاس مطران الحوران على عريضة كتبها تاوفانوس بطريرك القدس تاريخها ٥ تشرين الاوّل سنة ١٦١٧ (١

٥ (جراسيموس) اسقف الزبداني حضر مجمعاً عُقد في دمشق سنة ١٦٠٤ على عهد البطريرك مكاريوس الثالث كما روى بولس الزعيم للنظر في دعوى مطران حمص ابن العديش (البقية لعدد آخر)

المناديات الدمشقيّة في الآثار الشاميّة

للاب سليمان غانم اليسوعي

وهب الخالق المنّان دمشق الفيحاء وقراها المجاورة ارضاً خصبة وماء غزيرًا وهواء سليماً وشمساً محيية . فكثرت فيها الاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة واحرار البقول والرياحين العطرة التي يطيب للاذن سماع ذكرها ووصفها كما يطيب للّسان المناداة باسمها والعين حسن منظرها وللشمّ شذا ريحها وللّيد نعومة ملمسها وللذوق حلاوة طعمها . فيتشبّع سكّانها بهذه العطايا الفاخرة « فيأكلون ويشبعون ويسمنون ويتلذّذون بجودة العظيم » (نحميا ٩ : ٢٥) ويخاصون لهُ الحبّ والعبوديّة والاكرام وينطقون بحمده وشكره على الدوام .

امّا بعد فان الباعث لوضع هذه المقالة هو سماعي الباعة الجوّالين ينادي كل منهم ببيعه في ازقّة دمشق . فيمرّون كل يوم وكل النهار رافعين اصواتهم يتغنّون بنغم ونبرة وعبارات تميّز محمولهم عن سواه وتشوّق السامعين الى مشتراه فجمعت من مناديهم ما حوى نكتة او ملحة تفكيهاً للباحثين في الفرائد المحلّيّة او الملتقطين شذرات العربية ثم اضفت اليها شروحاً زراعيّة وتجاريّة باخذتُ معظمها عن الخواجا فرنسيس ديوس الدمشقي احد ملّاك الزبداني . جزاهُ الله خيرًا في الدنيا والاخرة

---

١) هذه العريضة نُشرت في المجلّة الارثوذكسيّة Νέα Σιών (ج ٢ ص ٢٨٥–٢٨٧)

٢) اطلب رحلة مكاريوس Belfour : *The Travels of Macarius*, II,476

واسأل ابا الانوار ان ينعم عليَّ بشيءٍ من حكمة سميّ سليمان الذي « تكلَّم في الشجرة من الارز الذي على لبنان الى الزوفى التي تخرج في الحائط » (٣ ملوك ٤ : ٣٣)

ارجو القارئ اللبيب ان يتأمل في اعمال البارئ النباتيَّة ويهتف مع اولياءِ (دانيال ٣ : ٧٦) : « باركي الرب يا جميع انبتة الارض . سبحيه وارفعيه الى الدهور »

ولدى البحث والاستقصاء في المملكة النباتيَّة اتَّسع مجال الكلام فلزم تقسيمهُ الى اقسام وتجزئتهُ الى اجزاء. ولئلَّا يملَّ القارئ من طول المقالة اقتصرت اليوم على ذكر بعض الاثمار والاشجار البلديَّة داعياً اوَّلاً « الشجر المثمر » الى تسبيح اسم الله القدوس (مز ١٤٨ : ٩ و ١٢) وهاكها مسرودة على ترتيب الحروف الهجائيَّة :

١ في الاجاص

الاجاص كثير في التل ومنين وجهاتهما. وقليل من الهامة الى الزبداني. وينبت في كل ارض الَّا ان الحمراء السمينة التي لا صخر فيها اصلح لهُ ويعيش فيها نحو ٣٠ سنة اذا عُني بهِ. واثمار الاجاص ستَّة اشكال :

١ (العثماني) وهو كبير وكثير وطيّب (ورطلهُ من ٤ الى ١٢ ق)

٢ (ابو زبلة) وهو كثير ودون (وقنطاره من ٣٠ قرش الى ٥٠)

٣ (الطعم صيفي) ويبلغ كبر السفرجلة. وهو جيّد وقليل (ورطله من ق ٢٤ الى ٣٤)

٤ (الشتوي المدوَّر) وهو على شكل التفَّاحة ولذيذ. واصلهُ من اشتورا

٥ (الشتوي المطاول) الذي لهُ عنق كالعادي. وهذان الشكلان يُقطفان بعد عيد الصليب (رطلهما من ٦ الى ١٢ ق)

٦ (العرمط او البرّي) ولبُّهُ مبرغل (يشبه البرغل) ويبقى مرّ الطعم وان نضج. والنابت في البساتين لشربهِ الماء اكبر من النابت في الجبال

ويطعَّم ابو زبلة والعرمط من الاشكال الجيّدة

ويزهر الاجاص في آذار ويؤكل في آب وينضج ابو زبلة قبل العثماني ويُنادى هذا: « ابو زبلة لا تأكل . هذا عثماني يا رايق »

وخشب الاجاص يستعمل قوالب للطباعة فانهم يطبعون في دمشق بعض النقوش

الملوّنة على اغطية اللحف والمناديل واغطية الرأس ويستعملون السمّاق للون الاحمر والقرّة والجهرة للون الاصفر . ويستعملهُ النجّارون الفرنج في بعض اشغالهم الثمينة

٢ في التفاح

يُضرب المثل هنا في التفاح الزبداني كما في العنب الدارانيّ والمشمش الهسامانيّ فيبلغ التفّاح الزبداني ١٥ قنطاراً وفي اوّلهِ في ايار الى نصف حزيران يبيعون ٥ ارطال منهُ بقرش ويُطعم البقر والغنم ما يسقط منهُ لكثرتهِ . وعُشر التفاح والفواكه يبلغ في دمشق ٦٥,٠٠٠ قرش ومجموع عشرها كله الف ليرة في السنة

لا ينجح التفاح الّا في الارض السمينة السوداء او الحمراء فيعيش فيها في نحو ٣٠ سنة وفي غيرها يموت بعد ١٠ سنين . ويجب سقيهُ في الاوّل في كل عدّان (٨ ايام) لئلّا يهلك في اوّل سنة ويكتفي بعدئذٍ بالشرب كل ٢٠ او ٣٠ يوماً

والارض المحصّاة (التي يكثر فيها الحصى او البحص) توافقهُ وتوافق كل الشجر لانها تحفظ لاصلها الرطوبة والبرودة . والتفاح يزهر في نيسان وان اصابهُ مطر يرمي زهرهُ (يعتش) ولا يحمل . وخشب التفاح يستعمل الوقيد هنا مع ان الفرنج ينتفعون بهِ في اعمالهم الدقيقة كثيراً . ويؤكل في ايار

وفي الزبداني اربعة عشر نوعاً من التفاح وهي:

١ (السكارجي) وهو تفاحها الشهير . لونهُ ازرق اوّلاً ثم يسودّ بعد النضج وهو لا حامض ولا حامض في اوّلهِ ويطيب بعد نضجهِ . ولهُ رائحة ذكية تميّزهُ عن سكارجي وادي برّدى الذي هو دونهُ قيمةً . وتبلغ شجرتهُ في مضايا كبر الجوزة فتحمل قنطاراً . ولا يضرّ نقلهُ الى البلاد البعيدة فيبقى صحيحاً على حالهِ

وتفرخ اصوله بكثرة حتى انّهم يبيعون من نصبهِ بقيمة عشرين الف قرش في السنة ويخبر ان السير وود قنصل انكلترّة في دمشق من نحو خمسين سنة اشار الى اصحاب الاملاك في الزبداني ان يستخرجوا من التفاح شراباً (cidre) كما يفعل الاوربيون في بلادهم فجرّبوا ولم ينجحوا لجهلهم الطريقة . فقطعوا حينئذٍ شجرهُ لكثرتها وحرقوها وباعوها فحماً . (رطل الكبير بقرش والصغير ١٠ بارات الى ١٢٧ب)

٢ (السكّري) وهو طيّب ولهُ خدّ احمر وخدّ ابيض . ويوجد منهُ كثير في بلودان ودارياً ويبقى في بلودان الى عيد الصليب وكلّما نضج طاب بخلاف السكّري الزبداني

فاذا طال فات طعمهُ (فوخر) وذهب حسنه . ويُباع قنطار السكّري والدرشاوي والفضي ١٥٠ ق الى ٢٠٠

٣ (الدرشاوي) وهو نوع من السكّري المتأخر (اللقيس) ولونهُ احمر . وكلّما نضج طاب . ولا يكثر الّا بالتطعيم

٤ (الفضّي) وهو ابيض ومخضرّ بزرتهُ اذا نضج

٥ (الهاماني) وهو احمر مع زرقة وتفاحته كبيرة يُنسب الى الهامة

٦ (الشامطي) وهو اصفر ولذيذ (ورطلهُ من ٢٠ ب الى قرش)

٧ (الناعم) وهو حامر مع طرف حموضة . ويوجد في البساتين الزينبيَّة في دمشق

٨ (العراقي) وهو احمر وابيض وتحمل شجرتهُ قليلًا الّا ان التفاحة تبلغ كبر السفرجلة (ورطلهُ بقرشين)

٩ (الحلاطي) وهو حامر وحامض وقليل

١٠ (الشتوي البلدي) وهو ازرق ويدوم سنة بعد القطف وهو كالسكارجي لوناً وطعماً وحجماً ورائحةً

وقيل لي في يبرود ان افخر تفاح عندهم يُدعى الفاطمي والخشخشي .

وينادى التفاح في دمشق :

« كل تفاحه خدّ يا تفاح — مال الزبداني يا جناني — مال داريّا يا سكّري — مال الزينبيه مختّر يا ناعم — بخّر الشوره (المنديل) مال ببيلا يا جناني »

وقد جاء ذكر التفاح في سفر الامثال ونشيد الاناشيد والنبي يوئيل . فقال في سفر الامثال (٢٥ : ١١) « الكلام المنطوق به في اوانه تفاح من ذهب في سلال من فضّة » وفي سفر الاناشيد (٢ : ٣) : « كالتفاحة في اشجار الغابة كذلك حبيبي بين البنين قد اشتهيتُ فجلست في ظلّهِ وثمرهُ حلو في حلقي . . . قوّوني بالتفاح » وفيه قولهُ (٧ : ٨) : « عَرْف انفكِ كالتفاح » . وجاء في سفر يوئيل (١ : ١٢) : « الكرم جفّ والتين ذبل والرمّان والنخيل والتفاح وجميع اشجار الصحراء ذوت فذوى السرور عن بني البشر »

٣ في التوت

جاء ذكر التوت في الانجيل القديس لوقا (١٧ : ٦) فقال الرب : « لو كان لكم ايمان مثل حبّة الخردل كنتم تقولون لهذه التوتة اقتلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم »

والتوت ينبت في كل ارض و يعيش نحو الف سنة الّا انهُ يضوُل (يترقرم) بعد الحسين . ولا يسأل عن الماء والخدمة الّا ان ايراده يزيد بهما وفي الارض السمينة . وتكبر التوتة في الزبداني كسائر الاشجار وهم يبعدون التوتة عن اختها من ٢٠ الى ٢٥ قدماً لئلّا تشتبك الاغصان . وخشب التُوت يستعمل لدواليب الحلالة (حلّ الحرير في القرى) ولدواليب الدوارة التي تهيئ خيطان الحرير للسدى وللنوارج (في الزبداني)

وثمر التوت خمسة اشكال وهي :

١ (الشامي) الشهير وهو اصغرها يكون اسود غامقاً وحامضاً ويُؤكل بسكر او بدونه . ويُصنع منهُ وحدهُ شراب يُحفظ في القناني (ورطله من قرشين الى اربعة ق والباقي من ١٧ الى ٢)

٢ (الحلبي او الرُطب) وهو ابيض

٣ (المرمشي) وهو ابيض واحمر

٤ (المصري) وهو كالشامي لوناً الّا انهُ حلو واكبر منهُ

٥ (التزّي) وهو ابيض وصغير

ودود القز لا يربّى اليوم في قرى الشام الّا في الزبداني وقدسيّا ومضايا وسرغا وبتين . وتباع فيالجها (شرانقها) في كراخين لبنان (الاقة من ١٦ ق الى ٢٠)

وفي الجيل الماضي لمّا كانت الدودة البلديّة في عزّها كانت الزبداني تحلّ وتبيع لدمشق نحو ٣٠,٠٠٠ اقة حرير . وكان درهم البزر يغلّ ست اقق شرانق . وكانت الاقة تعطي ٤٥ درهماً حريراً . اما اليوم فالدودة الاجنبيّة لا تعطي الّا ٥٠٠٠ اقة ودرهم البزر لا يعطي الّا اقة ثلاث . واقة الشرانق لا تعطي الّا ٢٠ درهماً وان اقبلت المواسم لا تتجاوز ٤٠ درهماً

وينادي الباعة على التوت :

« يا شامي على الله الشفا — شامي يا عوافيه — حلواني يا توت — بارد وحار يا توت — اصل الحلاوة يا توت — مابّس يا توت — بلح يا توت — نازل عليك الندى يا توت »

ويضرب المثل في سرعة التوت فيقال : « لا تكون كشجرة اللوز بل كشجرة التوت » لان اللوز يزهر في نصف شباط ولا يطعم الّا في حزيران امّا التوت البرّي فيخرج ورقهُ في العشر الاوّل من نيسان وبعد ١٣ يوماً يأكل الدود ورقه والناس تأكل

ثمره بعد خروج ورقه بشهر . ولا يخفى ان توت القزّ نوعان : (البري) ويأكلهُ الدود مدّة عشرين يوماً الى الفطرة الثالثة . (والجوّي) ويأكله الدود من ٢٥ يوماً الى ٣٠ . وثمره يؤكل بعد ظهور الورق بخمسة وار بعين يوماً . (ويباع رطل الورق من ٢ ب الى قرش)

٤ في التين

ان الفلّاح يحبّ غرس التين لانهُ يبيس ثمرهُ كالعنب والمشمش . والتين يصحّ في ارض دون انما يجب الاعتناء بهِ في اوّلهِ ثم تكثر ارضه كل سنة ويعيش نحو ١٢٠٠ سنة

ويضرّ بهِ البرد القارس وبهِ يصحُّ المثل : « البرد في الشام يفعل بالشجر وفي حلب بالحجر وفي بر مصر بالبشر » ونحو كل عشرين سنة تحدث عاصفة (زمبتة) قوية تميت التينة حتى اصلها فيقطعها الفلّاح الى التراب فتفرخ اغصاناً جديدة يبقى بعضها

التين لا يزهر وينبت ورقه في آذار او في نيسان ويظهر الثمر مع نمو الغصن مدة شهرين ويؤكل في آب . والديقور هو الباكورة وهو قليل . ومن اراد ان يسرع الثمر في النضج دهنه بالزيت

والتين مغذٍ كالخبز والفلّاح بعد اكلة الصبح يأخذ منهُ اوقيتين او ثلاث اواقٍ يأكلها في النهار ويصبر الى العشاء . وماء التين المغلي مفيد للسعال

وورق التوت علف للبهائم وعوده يحرّك بهِ الدبس السخن ليجمد فيصير كالطحين الناعم ولا يجرغل كالرمل . ومن ليس عندهُ رَوْبة لبن يحرك الحليب بعود الخضر حديث القطع فيخثر . وللتين ٥ اشكال وهي :

١ (الملكي) وهو اعلاها وابيض وكبير . وافضل اشكاله البعل لعدم سقيه فاذا سقي يدوّد (ورطله من ٢٤ ق الى ٣)

٢ (الشتوي الهاماني) وهو احمر وابيض ويدوّد كالسابق (ورطل البلدي ٤ ق والهاماني ٦ الى ٧)

٣ الحامض الجمّالي) وهو لا يؤكل الّا مطبوخاً (رطله ٢٠ ب)

٤ (الحامض السوري) وهو احمر وابيض يروق المنظر ويكون كثير الحموضة (رطله ١ ق)

٥ (البتيلي) وهو صغير ردون يأكلهُ الصغار . وبيلا قرية شامية (لهُ بقيّة)

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية ادبية ذات خمسة فصول ينخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

الخيانة والغدر

عباس العلوي في منازل البرامكة . باب على حدة . مائدة عليها شمعة مشعلة

المشهد الأول

ياسر (١)

ياسر قد آن الوقت الذي عاهدتُ الفضل عليهِ وقرُب منتصفُ الليل ولم يأتِ بعد . وانا ادور في المحلة القصر متربصًا قدومهُ ساهرًا سهر البخيل على دنانيره عساني افوز بما وعدني بهِ الرشيدُ يوم اهداني الى جعفر إن اتيتُهُ بدخلة اخبارهم ومصادر اسرارهم . يحسبوني صادق النيّة صافي الطويّة وانا أعلاهم بحار الكلام في طيهِ سمٌ قاتل (سكوت) .

على اني اذكرُ الايام التي مضت ايام كنتُ في هرقلة اعيشُ بالدلال والتقى في بيت البطريق ابي سرجيس . فاحاطت بنا جنود الرشيد واذ لم يتمكّنوا من المدينة قهرًا ارادوها غيلةً فكنت انا الخائن القيتُ اليهم بمفاتيح المدينة سرًّا واتيتُ الى معسكرهم فوجدت ديني وكفرتُ بمعتقدي فكان جزائي الاسر حتى اصبحتُ بعد العزّ والكرامة ذليلًا اقضي العمرَ بالمجون والعهارة والفجور ولا اصل اليها الّا بالمكر والخديعة (٢ . فهذا جعفر لم ارَ منهُ الّا كل

---

(١) اجمع المؤرّخون على انّ الرشيد اهدى هذا العبد الخائن الى جعفر ليطلعهُ على اسرار البرامكة (٢) امثال هذا العبد كثيرة في التاريخ . امّا فتح هرقلة فتجد وصفهُ في المسعودي (٦ : ٢٤١) وابن الاثير (٦ : ٧٠) وغيرهما

مليحة : لبابُ كرم . وعتقُ منظر . وجودةُ مخبر . وتراهةُ نفس . وكمالُ خصال . وانا اسعى عليهِ فاجعل مفاخرهُ مقاذر ومكـارمهُ مثالب . فبئس الخيانةُ وبئس تابعوها (١

كم من مرّة تقززتْ نفسي من الدنس ونبض الدم في مفاصلي نفرةً عن الخساسة واستكرهت روحي دناءتي فعزمت على ان اقوم كالابن الشاطر واذهب الى بلادي فارمي بنفسي على اقدام البطريق واسالهُ الصفح عمّا كان. (سكوت)

أيعفو عني ؟ ظلمُ الجرم قد سدَّ بوجهي ابواب الرحمة. لات حينَ ندامةٍ . لا رجاء لمن كفر بقومهِ واهلهِ ودينهِ وربهِ. قد مضى ما مضى وليس الى المَرد على الاعقاب سبيل. فلم يبقَ لي الان الّا اتباع خطّتي. وما الدنيا الّا غنيمة يتسابق اليها الناس والجواد من فاز بها بايّ اسلوب كان. هذا مناي ... اني اسمع همساً. هلمَّ تفتح الباب السرّي لعلَّ الفضل بانتظارنا (يخرج)

المشهد الثاني

يدخل يحيى البرمكي وجعفر وجيفر

جعفر نعم ابتِ. لبثتُ في قصر الخُلد مع اخويَّ والخليفة الصغير وجبريل طبيبك فرحين لنجاة ضيفنا الشيخ الكريم. هذا سبب تأخري عن العودة

يحيى يا للعجب !

جعفر انتَ سمعتَ إصدار العفو عن الشيخ

جيفر اجلْ سيدي. لمّا طلب المأمون خلاصهُ اجاب الرشيد بطيبة خاطر ووكل الى الفضل بن الربيع ان يُطلق سبيلهُ غدًا

يحيى ولِمَ لم يُعلمنا الخليفةُ بذلك ؟ لكنهُ اعلم الفضل عدوَّ العلوي وعدوَّنا

جعفر ان الرشيد متقلّب الاراء يعفو ويغضب في ساعة واحدة لكني لأعجبُ من حلمهِ الآن وقد تركتهُ يتلظّى غيظاً والفضل يُغريهِ على الفتك بالعلوي

(١) ابن عبد ربه (٣:٢٦)

يحيى سبحانَ مَن بيدهِ قلوب الملوك يديرها كيفما شاء . انهُ القدير الرحيم بالعباد

جعفر انا ذاهب لاعلمهُ أن العفوَ صدر فيهِ

جعفر ما الذي بيدك ؟

جعفر تفّاحة في غير اوانها . اعطانيها جبريل هديّة لك . كدتُ انساها . انظر ابتِ فيها رقعة

جعفر هاتِ

جعفر وانا مسرع الى مخدع الشيخ (يخرج)

المشهد الثالث

يحيى البرمكي . جعفر

جعفر (يأخذ الرقعة ويقرأ) :

« يُعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ »

وما معنى ذلك ؟

يحيى اراد جبريل ان يحذّرنا من مكيدة

جعفر هو هذا لكن ما يكون الامر ؟

يحيى يريد الرشيد قتل العلويّ

جعفر وقد عفا عنهُ !

يحيى هي خديعة ليتمكّن من العلوي ونحن في أمن لما اضمر من الشرّ جاهلون

جعفر اوَ تظنُّ انَّ الرشيد مع ما يظهرهُ من التورّع والعبادة يقدم على نكث العهود وسفك الدماء ؟ او هل يُلقي في طيّ النسيان ما كتبهُ بيدهِ من صكوك الامان ليحيى بن عبدالله . فلا جنّا الذين بالعهود يكفرون

يحيى دع عنك هذه الاوهام فان الرشيد سريع الغضب ثائر المخايلة يجمع بين التقوى والقساوة . [فكم من مرّة لم يكد ينجز ركعاتهِ في الصلاة الّا وامر بالسيف والنطع فهدر الارواح وتطع الاعضاء تحت السياط والعصا تقطيعاً وهو ينظر الى الدماء تتدفّق واللحمان تتناثر حواليهِ وانا ادعوهُ

الى الشفقة بلا جدوى (١] . والان فهذا شيطانهُ الفضل بن الربيع وهو شرس الخلق وحشيُّ الطباع وقد تملَّك على افكارهِ وارائهِ يُسهّل لهُ سُبُلَ الجور. فلا عجب من كيدهِ وظلمهِ . . اما نحن فعلينا ان نتلافى مـا هو أولى بالتلافي فنطلق سبيل العلوي عاجلًا

جعفر لكنك لا تجهل سيدي ما في اطلاقهِ من الجرأة والتعرُّض للمهالك فسوف يتَّخذ الواشون حفظنا للعهد وسيطة لتأجيج نار البغضاء في وجهنا (٢

يحيى قد وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فيجب ان لا يكون لنا ارادة ولا اغضاء ولا جبن اثرةً للحق وقياماً بالعـدل وبرًّا في اليمين. هو الدين يقضي بانجاز العهود ولو عرَّضنا بارواحنا وبرلدنا للهلاك

جعفر صدقت يا ابتِ . الدين الدين يوجب علينا هذا. فلنعرِّفنَّ العلوي بابنهِ موسى

يحيى انظر : على جانب الرقعة كتابة . (يقرأ) « سيقتلهُ عند منتصف الليل »

جعفر ايكون هذا ؟ (اضطراب)

يحيى يا لله من هذا الاثم الفظيع

جعفر قد اقترب من الليل نصفهُ . ما العمل ؟

يحيى فلنسرع باطلاقهِ قبل ان يحدث حدث . هاتِ رسالتك الى الفضل بخراسان

جعفر فُقدت فلم اجدها

يحيى ان في منازلنا قومًا غششة يخدعوننـا . لا بُدَّ من الاسراع . ادعُ العلوي وجعفرًا

جعفر ها هما آتيان

---

١) اطلب في الاغـاني والطبري والفخري والمسعودي الخ حوادث كثيرة تثبت ما ذكر. وهاك مثلًا واحدًا ننقلهُ عن الطبري (٣ : ٧٣٤) « اخبر ابن جامع المَرْوَزي عن ابيهِ قال : كنتُ في من جاء الى الرشيد باخي رافع فدخل عليهِ . فسمعت الرشيد يقول : إنَّا لله وانا اليهِ راجعون . ثم دعا بقصَّاب فقال : لا تشحذ سكّاك اتركها على حالها وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل ولا يحضرني اجلي وعضوان في جسمهِ . ففصّله حتى جعله اشلاء . فقال : عُدَّ اعضاءهُ . فعددتُ لهُ اعضاءه فاذا هي اربعة عشر عضوًا . فرفع الرشيد يديهِ الى السماء فقال : اللهمَّ كما مكنتني من ثارك وعدوّك فبانت فيهِ رضاك فمكّني من اخيهِ . ثم أغمي عليهِ وتفرّق من حضر »

٢) اطلب الفخري (٢٨٨) وابن بدرون (٢٤٦) والطبري (٣ : ٦٦٤) وسائر المؤرخين

المشهد الرابع

يحيى البرمكي . العلوي . جعيفر . جعفر

جعيفر نعم سيدي الشيخ غدًا تعود الى الحرية فقد سمعتُ الرشيد يأمر بفكّ قيودك

العلوي سقيًا لك من بشير . كنتُ ليها الاسياد بين نائم وساهر تتلاعب بي الهواجس والاوهام تارةً تريني خيالاتٍ لا يزال رسمُها مطبوعًا في فؤادي كأني مطلق الحريّة اسيرُ حيثُ شئت . وقد لقيتُ ابني موسى بعد السنين الطوال فعانقتهُ وقبّلت وجنتيه . وطورًا يتخيّل لي أنّ ذئابًا ضاريةً احاطت بنا فاختطفته من بين ذراعيّ وجعلتُ تنتاشه على حين لا استطيع ان اضمد كلومه الدامية وانجيه من بين مخالبهم

يحيى صدق منامك في فاتحته وقاك الله من الخاتمة

العلوي قد أشكل عليّ كلامك

يحيى إنّ الرشيد قد أظهر في كلامه البرّ واضمر الضرّ . فما وَعْدهُ بخلاصك إلّا خديعة تمكّنهُ منك فريسةً هيّنة . فهو عازم على قتلك الساعة قبل ان يُسفر الصبح

جعيفر يا فتى !

العلوي لا حول ولا قوّة الّا بالله ! . اتقِ الله يا ابن خالد في امري ولا تتعرّض الى دمي فتخفر ذمتك

يحيى طب قلبًا . . . .

العلوي إن الحسدة بغوا عليّ ورموني بما ليس فيّ وتقوّلوا عليّ الاقاويل كذبًا وانا وتربة اجدادي ما أحدثتُ حدثًا ولا آويتُ محدثًا (١

---

(١) قال ابن الاثير (٦ : ٦٢) . ان الرشيد دفع يحيى بن عبدالله . . الى جعفر فحبسهُ ثم دعا به ليلةً وسالهُ عن بعض امره فقال لهُ : إتّقِ الله في امري . . . فوالله ما احدثتُ حدثًا ولا آويت محدثًا . فرقّ لهُ وقال اذهب حيث شئتَ من بلاد الله . قال : كيف اذهب ولا آمنُ ان أُوخذ . فوجّه معهُ ممّن ادّاه مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع من عينٍ كانت لهُ من خواصّ جعفر فرفعهُ الى الرشيد

جعفر لا يزال الرشيد يسعى في هلاك آل علي

العلوي او لم يكتفِ الرشيد بما فعل وبمن ذبح منّا والحق حقنا [فان «ابانا عليًا كان الامام وهو اوّل المسلمين اسلاماً ومن ولده الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة . فاين حظّكم من الخلافة يا بني هاشم ؟ وكيف ورثتم ولاية علي واولاده احياء » ؟ (١]

يحيى اخفض من كلامك فاني اخاف المنافقين والخوّان

العلوي لا — أو انكر الرشيدُ صكّ الامان هذا الذي كتبهُ لي بيدهِ فأشهدَ عليهِ جلّة بني هاشم وشهدتم عليهِ انتم فارسلهُ مع هدايا فاجبتُ الى الصلح وتركتُ الالوف من احزابي شحًّا بدماء العباد وزهدًا بالدنيا . فألقاني في مطمورة لولاكم لمتُّ فيها من العذاب وهو الآن يريد قتلي (٢

امّا والله لكأني باخي النفس الزكيّة وابراهيم قتيل باخرَى يقولان للعباسي وقد ضيّق عليهما : لن ينقضي عنا يومٌ من البلاء الّا انقضى عنك معهُ يومٌ من الرخاء حتى نقضي جميعًا الى يوم ليس لهُ انقضاء يخسر فيهِ الظالمون (٣

جعفر ان الوشاة يزعمون انّك تطالبُ البيعةَ لنفسك

العلوي لا ومَن بسط الارض ورفع السماء لم يَدُر هذا في خَلَدي ولو أني اردت الخلافةَ لمَا اجبتُ الى الصلح يومَ عظمتْ شوكتي في الديلم وخراسان ومصر والشام واجتمع اليَّ المرسَلون من الامصار . فقد كبرتُ وجرّبت الرجال وسبرتُ الدنيا فزهدتُ وطلبت الانقطاع الى العبادة . وبرهانًا لقولي هاك صكَّ مبايعتي للرشيد ولابنهِ المأمون كتبتُهُ بيدي

يحيى (يأخذ الصكّ) سكّن الروع فلا يصل اليك الرشيد بضرّ والبرامكة احياء . فان شهامتنا ودينا يقضيان علينا بخلاصك ولو كان الهلاك جزاءنا . فاذهب حالًا قبل وقوع الفاجعة

العلوي اتكم لكرام اشراف

---

(١) الاربلي (٥١ و ٨٠) بالحرف الواحد

(٢) ابن الاثير (٦ : ٤٤) والاغاني (١٧ : ٤٣) والطبري (٣ : ٦١٢) والمسعودي (٦ : ٣٠٠)

(٣) المسعودي (٦ : ١٩٤—٢٠٥) والفخري (٢٩ و ٣٦٥) وابن الاثير (٦ : ٥٩)

يحيى وقد حان الوقت لأعلمك بسرٍّ طالما طويتُهُ في صدري. اتذكرُ ابنك موسى يوم اختُطِف من بين يديك طفلًا رضيعًا (١

العلوي كيف لا وذكرهُ لا يزال يُثير اشجاني ويسكب عبراتي ؟

يحيى (لجعفر) يا موسى بن يحيى قبّل يد ابيك

العلوي جعفر ابني ! !

جعفر انت ابتِ (يتعانقان)

العلوي انت جعفر ابني وقرّة عيني موسى ؟ تعال يا ولدي ومهجة فؤادي اضمّك الى صدري فان قلبي لبعادك قد بردت حركتُهُ وكادت تزول الروح من جسدي

جعفر يا ابتاه !

يحيى ها العقد الذي كان في عنقه ساعة اراد الجنود ذبحه

العلوي هو هو . هذه الاعين النُجل والجبين الوضّاح سيماء ولد عليّ

جعفر قد طالما حنّت اليك عظامي ودمي وقلبي فجمعت لك الزهور ومالت الى رؤياك وتُقت الى محادثتك ! كم بكيتُ لمّا عرفت أني يتيم ولم ادرِ انك انت ابي (يقبّل يده)

جعفر سبحان من أتا كما بالفرج بعد اليأس

العلويّ لله الشكر والحمد فانهُ ردَّ عليَّ ولديَّ ابراهيم عبد الله وموسى جعفر

جعفر اذن عبدالله اخي !

العلوي هو اخوك ابراهيم

جعفر (بفرح) احمدك الله على ما اوليت من النعم

العلوي وبعد الله فلكم يا معشر البرامكة الكرام أشكر وعلى ايديكم البيضاء أثني. ولا قِبَلَ لي بالقيام بحق نعمكم وحرمة آلائكم. فلم أرَ ولم اسمع بمجرد ومروءة وورع ودين كما رأيت في منازلكم. فلو فاخرت الدنيا بالمآثر من خصائص نفوسكم فعال من سواكم من لدن آدم الى ان ينفخ في الصور ويبعث اهل القبور لما باهت الّا بكم ولا عزّت في الفخر الّا عليكم.

---

١) ذكر هذا ابن الاثير (٥ : ٢١٢) في خبر محمد بن عبد الله العلوي

فاني اسير معروفكم ورهين كرمكم . اقسم بكل ما هو عزيز وشريف اني سأنشر محاسنكم وابثُّ عرف مناقبكم مـا دامت الروح في جسدي (١

جعفر لا ادري ما اقول . فاني فرحٌ للقيان ابي لكن دعني ان ادعوك باعزّ الاسماء. انت ايها الجدّ الكريم وانت ابت الحبيب (يقبّل يد يحيى وجعفر) قـد رُبيت في حجركما كابن من ابنائكما فكنتُ موضع حبكما وحبهم . والآن كيف انهض بواجب منتكم وانا طفل صغير ؟ فليس لي الّا الدعاء الى الله ان يحفظكما وذويكما بنعمته ويقيكما ويقيهم كيد الاعـداء . انهُ اللطيف بالعباد

يحيى وقانا الله واياكما كيد الظالمين

جعفر ان الوقت حرج وفي ضياع دقيقةٍ واحدةٍ لخطرًا فاذهبا مسرعين على طريق خراسان وانا لاحق بكما ان شاء الله

العلوي كيف ارحل وادع اولياء نعمتي في خطر من اجلي

يحيى استحلفتك بالله يا ابن عبدالله ان تسرع بالسفر الساعة سالًا قبل ان تُبثّ العيون في طلبك فلا باس علينا انما الخوف كل الخوف عليك

جعفر خذ خاتمي يعرفهُ اخي الفضل فيكرمكما (٢

يحيى ان الليلة باردة خذ ردائي (للعلوي)

جعفر (لجعفر) إلتحف بهذا

يحيى واذهبا شاءكما السلام

العلوي بماذا اكافئكم ؟ ان الله وحده وليُّ ثوابكم

جعفر سألت الله ان اموت حبًّا بكم يا آل برمك

يحيى أسرعا رافقتكما السلامة في الحلّ والترحال (يخرجان)

---

١) نخبةٌ مما ذكر المؤرخون كابن عبد ربّه والمسعودي والفخري في مدح البرامكة

٢) كان الفضل واليًا على خراسان . اطلب الطبري (٦٣١)

المشهد الخامس

جعفر . يحيى

يحيى قد تمّ الامر

جعفر (على حدة ينظر الى الخارج باضطراب منذ برهة) اني اسمع حركةً

يحيى صوت الفضل بن الربيع

جعفر كيف يندسّ في منازلنا سرًا كاللص ؟

يحيى فانخترط عسانا نطّلع طلع مراده (يُطفئ الشمعة)

جعفر سادعو الينا بعض الخدم (يخرج من آخر المسرح)

يحيى أعنّا يا رب وقدّر بحكمتك ما شئت فاني لاوامرك مطيع (يختفي في غرفة العلوي)

المشهد السادس

الفضل . ياسر

ياسر هذا المكان . فكن لِمَ تريد الدخول ليلًا على العلويّ ؟

الفضل دَعْ ما لا يعنيك واكتفِ بما امرتك

ياسر سمعًا وطاعةً

الفضل كأني رأيتُ نورًا ساعة دخولي وسمعت صوتًا

ياسر ان الجميع عهدتُهم في سنة النوم

الفضل كأني بعلي بن ابي طالب يردُّني مجرّدًا في وجهي سيفًا ذا حدّين (باضطراب) ويتوعّدني بالانتقام ان سفكت دمًا زكيًا

ياسر (على حدة) او يريد قتل العلوي اوانا الشريكُ لهُ في الجريمة !

الفضل ألا ترى احدًا ؟

ياسر لا

الفضل اين مخدعُ العلويّ ؟

ياسر هنا

مغارة سنّ الفيل المتّخذة قديمًا كدفن للموتى

الفضل لاقتلنك بسيف جدك علي (ضجة)

يحيى (يخرج) عُدْ ايها الذل الخوّان (يدخل جعفر وبعض الخدم)

الفضل قد اخطأتْ يمناي فنجا العلوي

يحيى اترموا عنهُ سيفهُ

جعفر لا بُدَّ من قتل هذين الخائنين

يحيى كلاَّ. اغمدوا سيوفكم

جعفر دعنا نقتلهما

يحيى امرتكم بحق الابوَّة

جعفر من اراد القتل فهو قاتل وما جزاء القاتل الّا الموت

يحيى امرتكم بحق سيادتي. ألستُ السيّد في منزلي

جعفر لا موضع للحلم بمن يغدر بالنيام

يحيى ان العجلة عاقبتها وخيمة (ينظر الى سيف الفضل الملقى على الارض ويقلّبهُ)

جعفر ذو الفقار سيف الرشيد (١

يحيى هو هو

جعفر بئس المكر وقبحاً لذويه

يحيى قد ظهرت اعمالكَ يا ابن الربيع وانهتك الحجاب عن دناءة اصلك (٢ وانحطاط قدرك وخساسة طبعك فلا حاجة لتدنيس سيف برمكي بدم لئيم غدّار او عبد خائن (يشير الى ياسر). خلوا رباطهما. اذهبا واعلما مَن ارسلكما ما سمعتما ورأيتما

الفضل لَسفكُ دمي اهونُ عليَّ من عفوكم. والله سانتقم شرّ انتقام واتبع العلوي على طريق خراسان فاشفي غليلي من دمه وأرتع بكم كبيراً وصغيراً

---

١) ابن الاثير (٥: ٢٢١) والمشرق (٣: ٥٧٩)

٢) كان الربيع ابو الفضل لقيطاً والفضل هذا مرميّاً بالفواحش. اطلب الفخري (٢٢٩-٢٤٠) وسائر المؤرخين

ياسر وانا سأطلع الرشيد طلع اسراركم وأبلغهُ يا جعفر امر الحسن والحسين (١ ومروقك عن الدين

جعفر يا لله (يخرج الفضل وياسر)

يحيى اذهبا الى لعنة الله. وانتم عودوا الى أمرائكم (يخرج الخدم)

المشهد السابع

يحيى . العلوي . جعيفر (جعفر على حدة مضطرب)

جعيفر ما هذه الجلبة ؟

العلوي اصحيح أنَّ لصًّا اراد بكم شرًّا ؟

يحيى نذل لئيم الفضل بن الربيع ارسلهُ الرشيد ليقتلك بسيف جدّك

العلوي ذو الفقار (يقبّلهُ) اعدّه عليٌّ للكفرة وابن هاشم يجرّده على العلويين

يحيى ستلحق بك الجنود على طريق خراسان فاليث في بغداد متنكرًا

العلوي لا يجمل بي ان ادعكم هدفًا لسهام الرشيد وانجو. فها اني سائر اليه فريسة باردة يكون فيها خلاصكم

يحيى كلَّا لا نرضى بذلك. على الحرّ انجاز ما وعد. فقد أمّنتُك يوم دعوتك من الديلم فلا اخفر الان ذمتي

جعيفر انا اموت عوضًا عن الجميع

يحيى سألتك بالله ألّا تتأخر عن الذهاب فان بقاءك لا ينجينا وفيهِ هلاكك. ونحن فعلى الله توكّلنا

العلوي ساقضي ما امرت. اللهم لا تدع الحق يغلبه الباطل (يخرج العلوي وجعيفر)

المشهد الثامن

يحيى . جعفر

جعفر (باضطراب) اسمعتَ ما توعّدني بهِ ياسر ؟

(١ يُلمح الى قصة البأسة اخت الرشيد مع جعفر وولدَيها الحسن والحسين والى ما نُسب الى جعفر من الزندقة

يحيى قد جرى ما جرى وليس رجاؤنا الّا بالله . ان نفسي تحدّثني بزوال قريب (١
جعفر وانا كذلك فقد ركبت امس الى كنيسة فوجدت على احدى جدرانها حجرًا عليه كتابة لا تُفهم فأحضرت تراجمة الخط فاذا فيها ابيات تشاءمتُ منها
يحيى الم أوصِكَ الّا تسير الى الكنائس جهارًا فيرمينا الناس بالزندقة (٢

١) ذكر المؤرخون أنّ يحيى البرمكي رأى في نومه رؤيا تنبّئهُ بقرب زوال نعمتهِ . اطلب ابن عبد ربّه (٣ : ٤٦)

٢) حكى ابن بدرون (٢٢٤) وابن خلكان (١ : ١٢٦) والميلاوي (٩٥) أنهُ لمّا فهم جعفر التتبّر من الرشيد ووصل الحيرة ركب الى كنيسة جا لبعض الامر فوجد فيها حجرًا عليهِ كتابة لا تُفهم فاحضر تراجمة الخطّ وقال في نفسهِ : قد جعلتُ ما فيهِ فألاً لِما اخافه من الرشيد وارجوه . فقُرئَ فاذا فيهِ :

ان بني المنذر عامّ أنقضوا بحيث شاد اليمنَ الراهبُ
اضحوا ولا يرجوهُ راغبٌ يومًا ولا يرهَبُهم راهبُ
واصبحوا أكلًا لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالبُ

فحزن جعفر وقال : ذهب والله امرُنا

ونقل ابن قتيبة في عيون الاخبار (٧١) شعر بن للاصمعي في البرامكة وهما :

اذا ذُكر الشرك في مجلس انارت وجوه بني برمكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ اتوا بالاحاديث من مَردكِ

ولمّ الصواب من مزدك والمزدكية شيمة معروفة . ونقل بيتين لشاعر آخر :

ان الفراغ دعاني الى ابتناء المساجدْ
وان رأيي فيها كرأي يحيى بن خالدْ

وقد جعل كثير من المورخين سبب نكبة البرامكة او احد اسبابها ما عُزي اليهم من الزندقة والالحاد . كرر الشكوى الطبري (٣ : ٦٦٩) ناقلًا كلام محمد بن الليث في جعفر البرمكي حيث سمّاهُ : « حامد يكيد الاسلام واهلَهُ ويحب الالحاد واهلَهُ » اطلب خلا ما ذكرنا سالفًا الشعراوي في كتاب الاتحاف (٢٤٩ و٢٥٣) حيث ذكر علاقات ابي قابوس النصراني مع البرامكة . والاربلي (١٠٦-١٠٧)

— وزد على ذلك ان الرشيد تغيّر على النصارى بعد فتكه بالبرامكة فقتل الدمشقي المتنصّر ابا الروح وهو المعروف بالقديس اقطونيوس الهاشمي ذكره ابن العبري في تاريخهِ المدني (طبعة بيجان ص ١٢٣) والبيروني (٢٩٢) اطلب المشرق (٥ : ٨) وتجد خبرهُ في احدى المخطوطات القديمة المحفوظة في مكتبتنا الشرقية

اخبر الطبري في تاريخ سنة ١٩٥ه (٨١٠ م) « ان الرشيد امر بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن هاشك يأمره بأخذ اهل الذمة بمخالفة هيئتهم هيئةَ المسلمين في

جعفر كنت اظنُّ ما رأيتهُ من كيد الرشيد سحاباً يمرّ وشيكاً وسكرةً يُفيق من سورتها

يحيى فقد كذَّب العيان ظنَّك . [امّا انا فقد حنَّكتني الايام فرأيت الخلفاء العباسيين يتتابعون سائرين على الغدر والجور لا يذكرون احسان محسن ولا صدق خادم . دولتهم ذات خداع ودهاء . ولولانا لاضطرب حبلهم وذهبت دولتهم . امّا اليوم فقد داخل الرشيد حسد بني هاشم وبنيهم فسوف يكفر بنعمنا ويقتلك بنا] (١

جعفر ان كان الامر كذلك فجزاء سيئةٍ سيئة مثلها . الظلم بالظلم والبادئ اظلم

يحيى سكِّن الجاش فاليوم يوم الروية

جعفر ما قامت دولة بني العبّاس الّا بنا اما كفى الرشيد أنّا تركناهُ لا يهتمّ بشيءٍ من امر نفسهِ وولده وحاشيتهِ ورعيتهِ وملأنا خزائنهُ اموالًا

يحيى كم نهيتك عن منادمتهِ فلم ترتدع فكانت دالَّتك عليهِ اصل كل شر (٢

جعفر اليس هو الذي اجبرني على الامر ؟

يحيى وقد باريتهُ بالكرم

جعفر هو مالنا حلالًا جمعناهُ وكرمًا فرّقناهُ

يحيى ان الملوك لا تحتمل المباراة

جعفر اني لا أبالي فان البرامكة امراء البلاد لهم تُطيع الجنود والقوّاد

يحيى خفّض من كلامك

لباسهم وركوبهم » . وقال المسعودي (٦ : ٣٦٣) في سبب نكبة البرامكة : « امّا الظاهر فاحتجان الاموال واتهم اطلقوا رجلًا من ابي طالب كان في ايديهم وامّا الباطن فلا يُعلم وقد ذُكرت اشياء والله اعلم بها » فهل هذا الباطن والسرّ الذي لا يُعرف هو ميلهم للدين النصراني ؟ والله اعلم

١) منقول بحرفهِ عن المسعودي (كتاب التنبيه ٣٤٦) والفخري (٣٠١-٣٠٢) والطبري وغيرهم

٢) اخبر الجلاوي (٣٠) قال : كان يحيى ينهى ابنهُ عن منادمة الرشيد ويقول لهُ : إن مَن خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم . حتى انهُ قال للرشيد : يا امير المؤمنين انا اكره مداخلة جعفر لك ولست آمنُ أن ترجعَ العاقبةُ عليَّ منك . اطلب ايضاً الطبري (٦٧٦)

جعفر اني غدًا سائر اليه فان جاهرني بالعداوة جاهرته بها

يحيى لا تجاهر واذهب مسرعًا فأعدّ لنا ملجأً في خراسان نحتمي به فان نجونا اليوم لا نجو غدًا. فقد دنّت عقارب السعاية من كل جانب واختناق علينا المأمون كل سوء وشرّ وتغيّر الرشيد علينا فلا رجاء لنا

جعفر سافعل. أما والله لكأني بالوعيد قد اورى زنادًا يسطع. فهلًا سهلًا بني العباس فبي والله سَهُل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور ازمّتها فلا يكن الكفر بالنعم جزاء الاحسان (يخرج)

المشهد التاسع

يحيى

اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني — اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني مالي واهلي وولدي فاسلبني الّا جعفرًا (سكوت). اللهم ان ذنوبي جمّة لا يحصيها غيرك. اللهمّ ان كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا وان احاطت بسعي وبصري حتى ابلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة (١ (تمّ الفصل الثالث)

السرّ المَصون في شيعة الفَرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الرفيق او الدرجة الثانية من الدرجات السفلى

بلغني بعد اشهر انّ الطالب الذي حضرتُ دخولهُ في الماسونيّة برع في «كاره» فطلب من رؤساء المحفل ان «تُزاد أُجرتهُ (٢» فيُرقّى الى درجة فوق درجته وهو يتلهّب شوقًا

١) ابن الاثير (٦: ٦٣) والفخري (٢٨٦) وابن عبد ربّه (٣: ٣٦٦) والطبري (٦٧٤)

٢) هذه صورة رسالة رسميّة كتبها من عالية في ٣ ك ١ سنة ١٩٠٩ طالب ماسوني (تمكث من اسمهِ) يلتمس فيها ان يرتقي الى درجة رفيق:

حضرة رئيس واعضاء محفل السلام الموقّر

غب المصافحة الاخويّة (الماسونيّة) ابدي بما انّهُ قد مضت عليّ المدّة القانونيّة وانا بدرجة

ليعلم شيئاً من الاسرار التي وُعد بكشفها له اذ تحقّق انّ المصافحة الماسونيّة ومعرفة الانوار الثلثة الكبيرة (اي كتاب الرسوم الماسونيّة ثم الزاوية والبيكار) والانوار الصغيرة (اي الشمس والقمر والرئيس المحترم) مع الوقوف على اسماء جاكين وطوبلقاين وبعوز والصفّقات والرقصات وبقيّة السفاسف الماسونيّة ما كانت لتشفي حرقتهُ وتنقع غلّتهُ. وكان امتعض بالخصوص لدى فكره انّ النور الذي لاح لأعينه في شركة الماسون لم يخرجهُ بعد الى سنّ الرشاد اذ عمر الطالب لا يتجاوز الثلاث سنوات. فيا لله اهذه هي المواعيد التي خدعهُ بها الاخوة! ولكن كيف يرجع القهقرى بعد الأيمان المحرّجة التي رَبط بها نفسهُ امام فئة الماسون؟ فحدا به خجلهُ من حالته الى ان يطلب التقدُّم في الماسونيّة لعلّهُ يرى في الدرجة الثانية ما لم يَفُز بهِ في الاولى. فوعدوهُ بتقدير شغلهِ «وزيادة اجرتهِ» (بالمقلوب)

فلمّا تعيَّن يوم ترقية الطالب الى درجة الرفقة طلبتُ الى اخي «الجاسوس الجزويتي» بان يتمنّى بهذا الملعب الثاني فاروّح بالي عن اشغالي المتراكمة بحضور تلك الحفلة الهزليّة. فأجاب الى ملتمسي واعلمني بالكلمة السرّيّة التي يجب الاعلان بها قبل ان يفتح لي الحاجب باب المحفل. فكانت هذه المرّة «شُبولت» اي سُنبلة اشارةً الى ما ورد في سفر القضاة (١٢: ٦) فاتقنتُ لفظها تلّا يصيبني ما اصاب الافرانميين لمّا قتلوا لسوء لفظهم لهذه الكلمة فكانوا يقولون «سُبولت» فلا يحسنون تهجية الشين

وفي عشيّ احد أيام آذار اذ كان الليل داماً والمطر متهاطلاً — والماسون يختارون تلك الليالي لاجتماعاتهم خوفاً من العيون الراصدة — سرتُ واخي الجاسوس الى «محفل لبنان» حيث كان يترأس الاخ ٣٣ ن.ج. وينوب عنهُ الاخ ٣٣ ر.ش. ولم يكن وقتئذٍ الاخ شاهين مكاريوس الأكاتم اسرار وهو الذي صار بعدئذٍ احد اخبار الماسونية المعظّمين وقد سبق انّ مجموع القابهِ الشرفيّة يناهز على خمسة عشر سطراً. وكان احد مديري المقتطف الاخ ٣٣ ف.ن. خطيب المحفل وكانت سوق للماسونيّة وقتئذٍ رائجة واسعارها غالية يدفعون للدخول فيها ١٢ ليرة. امّا اليوم فلا تتجاوز الليرة او الليرتين (يا بلاش!) ما يدلّ على هبوط سوقها. وكان طالبُنا قد دفع ذاك المبلغ عند دخولهِ

المبتدي اتيتُ بعريضتي طالباً «زيادة اجرة» لكي ازداد نشاطاً في خدمة العشيرة (الماسونيّة) ومهندس الكون العظيم يحفظكم اخوكم ٣٣.

الّا انّ الشرف الجديد الذي كان ينتظره بترقيه الى درجة الرفيق « زيادةً لاجرته » اقتضى ان يسلف دفع ثلاث ليرات أخرى

فدخلنا المحفل وكان مزدانًا على التقريب مثل زينته يوم قبول الطالب الّا بعض الرموز والاشعرة والعلامات التي يخصّون بها هذه الحفلة فيعلّقونها على الجدران فترى مثلًا فوق رأس « حضرة المحترم » شعارًا من الورق الشفّاف على شكل نجم ذي خمس زوايا في وسطه الحرف (G) السرّي (انظر الصورة في العدد السابق ص ٢٨٨ ع ١ و ٦) ويديرون هذا الشعار بسراج من ورائه . ولهذا النجم صورة ثانية يجعلونها من جهة الشرق يدعونها « الكوكب الساطع » (Etoile Flamboyante) . وفي صدر المحفل طاولة عليها كُرتان تمثلان الواحدة الكُرة الارضيّة والأخرى كرة السماء مع بعض الآلات الماسونيّة التي تدخل في « تكريس » الرفيق . ويمينًا وشمالًا العمودان جاكين وبعوز فوقهما كُرتان مع الرموز التي مرّ وصفها وتصوير اشكالها اعني المطرقة (الشاكوش) والزاوية والشاقول والمثلّث والبيكار المفتوح الرأسين الى فوق . وعلى جانب العمود جاكين الحجرُ النشيم الذي ذكرناهُ . وفي اطراف المحفل واعاليه صور النجوم والشمس والقمر الى غير ذلك من البهرجة التي اعتادها الماسون ليؤثّروا في مخيّلة الاغرار ويوهموا البسطاء بهذه المظاهر انّ شيعتهم مشروعٌ جليل فينبهروا من هذه التهاويل الباطلة

ولمّا انتظم المحفل ولبس الاخوة شاراتهم الشريفة وتحقّقوا كالمرّة السابقة انّ « الهيكل نظيف » لم يدنُ منهُ احدٌ من الدخلاء بل لم يحضرهُ احد من طلبة الدرجة الاولى طرق الرئيس هذه المرّة بطرقته خمس طرقات . فانتصب الاخوة وطرقوا مثلهُ صارخين : « هوزه ! هوزه ! هوزه ! » فاردف المحترم : « الزموا مكانكم ايّها الاخوة » فجلسوا

ثم عمد المرشد الى الطالب الذي كان قائمًا ينتظر اوامر الرؤساء وعلى صدره مئزر (وزرة) درجته معلّق اعلاهُ في عنقه كالصغار ولا يجوز لهُ ان يتنطق بحزام الّا على هذه الصورة ما دام طالبًا وسنُّ الطالب كي يسبق ثلاث سنوات . فجعل المرشد في شماله زاريةً وامرهُ بان يحملها على كتفه كالقاعل ثم قادهُ الى باب « الهيكل » فبعد الطرقات والاسئلة والاجوبة المألوفة عن الطارق واسمه وحالته سأل المحترم الاساتذة والرفقة عن تصرّفه (بالمعنى الماسونيّ) فمدّوا عيونهم ثمّ ضربوا بها افخاذهم اشارة الى رضاهم

فتقدّم الطالب ماشياً مشية درجتهِ ممثلًا ثلاث مرّات صورة الزاوية بعَقِب رجليهِ وسلّم على الرئيس وقام بين العمودين منتصباً ورجلاهُ على صورة زاوية. فاخذ « المحترم » يُلقي عليهِ الاسئلة ويحمد نشاطهُ في درجتهِ الاولى و يعدهُ بايقافهِ على اسرار جديدة من الماسونيّة ثم امرهُ بالجلوس في جهة الجنوب الشرقي فجلس و بقربهِ الاخ « المرشد فتلا هذا على مسامعهِ خطاباً طويلًا روى لنا زبدتهُ جناب « السامي العظمة » شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي ... ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الاساتذة المعلّمين ... وحائز لدرجة النخل والصَّدَف ودرجة ٣٣ وغيرها .. ورئيس محفل ادريس الخ الخ » في كتابهِ المعنون « كتاب الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (١ (ص ٥٣)

« لمّا كانت الماسونيّة علماً نامياً (وخبثاً سامياً) فحينما كنتَ مبتدئاً جلستَ في جهات الشمال الشرقي من المحفل وقد جلستَ الآن في الجنوب الشرقي (فطوباك طوباك لهذا الترقي) ليتبيّن لك التقدُّم الذي صرت اليهِ في العلم (اي علم ؟ وماذا تعلّم ؟) فانّكَ صرت شمّالًا بنّاءً حُرًّا (وكان من قبل عبدًا !) عادلًا مستقيماً (ما اسرع ما تعلّم العدل والاستقامة في الماسونيّة !) واني الآن اوصيكَ وصيّةً (افتح اذنيك !) واما واثق منك ان لا تتحوّل عنها مطلقًا (بنسمة الروح الماسوني !) وتتذكرها دائمًا وهي ان تستمرّ على ملازمة الادب والفضيلة والصدق (وكل هذه الاشياء لم يتعلّمها الانسان الّا بفضل الماسونيّة !) ويجوز لك الآن (وغير الماسون لا يجوز لهم ذلك !) ان تمدّ نظر البحث الى اسرار الطبيعة والعلوم التي كانت مستورة عنك (فالماسونيّة اذن هي عنكرة العلوم والبحث عن اسرار الطبيعة وغيرهم جهّال بُكْم عميان !) »

واردف جناب البك قائلًا: ثم يقدّم لهُ آلات العمل المختصّة بالبنّائين الاحرار وهي الزاوية القائمة وخيط الشاغول ويقول لهُ (ص ٥٤):

« انّ الزاوية القائمة تنظم بها وتضبط جميع زوايا المباني وبها تصير المادّة النشيطة بالشكل اللازم المطارب (ما اخذتكم يا ماسون باصول البناء !) والميزان لتسوية الاوضاع الافقيّة وتعمّقها (ان كنت تفهم أيها القاري فبالك !) وخيط الشاغول لضبط الاوضاع الراسية وتكبيها على اساساتها. وبما إنّنا سائر الماسونيين لنا بنّائين فعلًا بل بنّائين ورمزًا (وانّاكين نعمّايين فعلًا ورمزًا !) فنطبق هذه الآلات على آدابنا (التي عدم العلامة لها علامة!) هكذا (اسمعوا خطاب قرد الفانوس السحري وافهموا !): الزاوية القائمة للادب والتهذيب. والميزان للمساواة. وخيط الشاغول للعدالة والاستقامة في الاعمال مدّة الحياة وبالادب والتهذيب والاستقامة وحسن

---

١) هذا الكتاب من أكذب الكتب الماسونية وُضع كبقيّة التآليف المطبوعة في بلادنا من الماسون لتعظيم الشيعة وستر اسرارها الصحيحة تحت ظواهر فريّة خادعة

القصد تمشّم (١ في الارتقاء الى منازل المجد (والماسونيّة كما اثبتنا تنكر وجود حياة أخرى) التي هي مصادر الاعمال الصالحة (كذا) »

ثم قام الرئيس ثانيةً وقام معهُ الاخوة واستلّوا سيوفهم وتلوا دُعاء كالادعية السابقة الى مهندس الكون الاعظم (وهذا الدعاء يُتلى فقط في المحافل التي تحافظ بعدُ على ذكر ذلك المهندس). ثم سأل « المحترم » الطالبَ أهو مستعدٌّ للامتحانات الجديدة التي يريدون بها اختبار فضلهِ وصدق نيّتهِ. فأمّن الطالب وجعلوا يموّهون عليهِ بالسياحات كما فعلوا عند قبولهِ طالبًا الّا انّ السياحات هذه المرّة رمزيّة عقليّة كما يزعمون والغاية منها ان يشربوهُ بعض جرَعات من الخمر الماسونيّة او قل بالحري ان ينغشوا فيهِ شيئًا من سمّها

فالسياحة الأولى هي سياحة العلوم (٢) فسألوهُ ما رأيهُ في العقل البشري وفي اصل العالم وتكوينهِ وفي بعض العلوم الطبيعيّة. والجواب على هذه الاسئلة مدوّن في دفتر فكان الطالب يقرأ كل جواب (ما اشطرهُ!) فيزيد الرئيس على جوابهِ ملحوظاتٍ أخرى فيها تلميحات الى تعاليم الاديان لاسيما النصرانيّة وتكذيبها بوجه خفيّ فان ذلك ما قالهُ عن اصل الدنيا وتركيبها وقدمها مثبتًا لرأي القائلين بقدَم الدهر ومقابلًا بين اقوال بعض الفلاسفة الوثنيين او الملحدين وآيات الكتاب الكريم مشيرًا الى نفي هذه دون تلك. فسمعتهُ يقول (٣ ما تعريبه:

« انّ عالمنا هذا هو إلٰه الفلاطونيين الذي دعوهُ « أكلّ العليم » ... قد زعمت التوراة ان تكوين الدنيا سبق المسيح باربعة آلاف سنة (٣ الّا انّ تاريخ الصينيين وبعض الامم الشرقيّة يرقّون تكوين العالم الى مئين من ملايين السنين (كذا). والفلاسفة يكذّبون كل هذه الاقاويل والخرافات. فانّ علم النجوم وعلم طبقات الارض اصدق من تلك المذاهب الباطلة. وكان موسى يظنّ انّ العالم لا يشتمل على شيء سوى سيّارتنا هذه (٤ وانّما موسى قد غلط في زعمهِ هذا غلطًا فظيعًا (وانقطع منهُ كذب الماسونية) ... »

---

١) تمشّم في كتب اللغة تيبّس. فما احسن اختيارهُ لهذه اللفظة للدلالة على يُبْس الماسونيّة وعُقم ثمرها

٢) اطلب كتاب راغون وكلاوُل السابق ذكرهما ص ١٣٧ و ٢٣٣

٣) قد قلنا مرارًا عديدة انّ التوراة لم تثبت تاريخًا للعالم وما ورد فيها من ذلك لا يدلّ على سلسلة متواصلة ولذلك تعدّدت الاراء حتى بلغت نيّفًا وخمسين رأيًا بين آباء البيعة ومفسّري الكتاب المقدّس. والكنيسة لم تبتّ في ذلك حكمها. وعليهِ فلا بأس ان يقال انّ العالم كوّن منذ الوف عديدة من السنين

٤) ابن عالم موسى هذا التعليم؟ فانظر خيانة الماسون

وفي بعض المحافل التابعة للطريقة الاسكتلنديّة يلقون فيها اسئلة على الطالب في واجبات الانسان نحو قريبه ونفسه وكثيرًا ما يسكتون عن اسم الخالق عزّ وجلّ والفرائض التي يجب على المخلوق القيام بها نحوه كأنهُ تعالى لا وجود لهُ

ثم قام الاخ ٣٠ المرشد وترع من يد الطالب الزاوية فجعل بدلًا منها مطرقة ومقراضًا ودار بهِ حول المحفل حتى وصل الى جهة الغرب وأراهُ هناك شعارًا مكتوبًا عليهِ اسماء الحواسّ الخمس فأقرأهُ اياهُ وعاد بهِ الى مكانهِ فألقى عليهِ المحترم خطبةً على حواسّ الانسان ومعناها وفائدتها وكيف تُبنى عليها المعارف البشريّة ملمّحًا الى بطلان العلوم الدينية التي تفوق مشاعر الآدميين. وختم خطبتهُ بشرحهِ لهُ معنى « النجم الساطع » قائلًا انَّ هذا الكوكب من شأنهِ ان ينير عقلهُ ويوقفهُ على واجباتهِ في الماسونيّة لصلاح الانسانيّة وازالة الاوهام من عقول البشر

ووُليتْ هذه السياحة الاولى سياحةً ثانية تدعى السياحة الهندسيّة فقاد المرشدُ الطالبَ بيدهِ حول المحفل الى قرنة أخرى وجد فيها كتابةً تحتوي اسماء الطُّرُز الهندسيّة الاربعة اي الدوريّة والايونيّة والقورنثيّة والطراز المركّب. فلمّا رجع الى مكانهِ شرح لهُ الرئيس معنى تلك الطُّرُز الهندسيّة ناسبًا الى الماسونيّة شيئًا من مفاخرها زورًا

وفي السياحة الثالثة أراهُ اسماء الفنون الجميلة: الادب والهندسة وعلم النجوم والرياضيّات فأعقبها الرئيس بخطبة ثالثة عن معناها خالطًا الغثّ بالسمين

وفي السياحة الرابعة وجّهوا نظر الطالب الى الكرتين المثلثين الارض والسماء وجعل الرئيس يتشدّق بمعانيها الرمزيّة على طريقة مضحكة فيخلط في كلامهِ بين اقوال الفلاسفة وبعض اقوال السيّد المسيح مشعرًا بان المسيح كأحد الفلاسفة الاقدمين لا فضل لهُ عليهم

وخُتمت هذه السياحات بسياحة خامسة سار فيها الطالب فارغ اليدين (وكان في السياحات السابقة يحمل بعض ادوات الفعلة) فداروا بهِ في قاعة المحفل ثم عاد الى مكانهِ فخاطبهُ الرئيس مرّة خامسة بتعظيم الشغل عمومًا والشغل الماسوني خصوصًا

وامرهُ بعدها بان يضرب بمطرقتهِ على « الحجر الغشيم » ثلاث ضربات ثم قال لهُ بأنَّ الهيأة الاجتماعيّة كهيكل عظيم دُعي الماسون الى تشييدهِ (اعني تقويضهُ) فكلّ اخ مدعوٌّ ليكون عاملًا في هذا البناء والعلوم التي رأى رموزها في سياحاتهِ انّما هي الادوات

لهذا العمل . وكانت في خطبة الرئيس تلميحات الى تعاليم النصرانيّة التي يزعم انها مناقضة لتلك العلوم فبذر في عقل الرفيق بذوراً من الشكّ في الاسفار المنزلة والمعتقدات الدينيّة يطول شرحها . وكفى بما روينا سابقاً ادلّةً ناطقة على نيّات الماسون السيئة وما تكنّهُ صدورهم من البغض لكل دين ولكل وحي

وقد ختم الماسون هذا الملعب الثاني لقبول الرفيق برتبة « تكريسه » كما فعلوا مع الطالب وذلك انّهم اقاموهُ بازاء الهيكل الماسوني وطلبوا منهُ ان يجدّد القسم الذي حلف بهِ سابقاً انّهُ لا يكشف شيئاً من اسرار الماسونيّة حتى على اعزّ اهلهِ واصدقائهِ وانهُ اذا حنث بيمينهِ يرضى بان يُسَلّ قلبهُ من صدرهِ وتُقطّع اعضاؤهُ اربا . فقام الرئيس وجرّد سيفهُ فجعلهُ على رأس المترشح واعلن بموجب السلطان المُعطى لهُ من المجلس الماسونيّ الاعلى انّهُ يقبل فلان الفلاني في عداد الرفقة . وبعد ان طرق خمس طرقات بطرفتهِ على صفيحة السيف نزل من عرشهِ الى الرفيق وقبّلهُ على خدّيهِ وفمهِ . ثمّ عاد الى كرسيّهِ وشرح لهُ ما اكتسبهُ من الحقوق بترقيتهِ الى هذه الدرجة اخصّها انهُ لا يعود يعلّق وزرتهُ الماسونيّة في عنقهِ كالصغار لكن يشتيها على بطنهِ (يا لشرفهِ !) وانهُ منذ الآن فصاعداً يمكنهُ الجلوس عند العمود الجنوبي وغير ذلك من الامتيازات والانعامات التي تسحر العقول وتفتن الالباب بعزّها وعظمتها

وعلّموهُ كما فعلوا بالطالب الاشارات واللّمسات الجديدة والمصافحات التي يتعارف بها الرفقة والاخوان وما هي الكلمات السرّيّة التي يجب عليهِ ان يتفنها ليفتح بها ابواب الفرج لدى وصفائهِ . وكذلك لقّنوهُ المشية الخاصّة بدرجتهِ وبقيّة الحزعبلات (الزعبرات) التي يطول هنا شرحها وافادوهُ انّهُ بلغ السنة الخامسة من عمرهِ (طلعت اسنانه !) واعطوهُ كرّاساً فيهِ عدّة اسئلة واجوبة يطرحونها عليهِ كشبه التعليم اوّلها :

س أرفيقٌ انت ؟
ج نعم (بنعمة الاخوة الماسون وخرافات الماسونيّة !)
س اين كان قبولك ؟
ج في محفل عادل وكامل (كوّيس ورخيّص وابن الناس !)
س لايّ سبب طلبت قبولك بين الرفقة ؟
ج لأعرف الحرف ج (G) (فيكون سلك الحرف !)

وقس على هذا بقيّة الاسئلة الموافقة لطفل عمرهُ خمس سنوات (لا يميّز بعد الالف من المادة) نستحي ان نُضيع وقتنا باطالة الكلام فيها

الاستاذ وهي الدرجة الثالثة في الماسونية

هذه الدرجة كمال الماسونيّة يبلغ فيها الاخ سنّ الكهولة (اي سنّ السبعة) ويحقّ له ان يترشّح من بعده للرئاسة بين اخوته «. ومن ثمّ يسهل عليه لطلب هذه «الزيادة العظيمة في الاجرة» ان ينتح ثالثةً كيسهُ ويؤدي للمحفل هذه المرّة ايضاً خمس ليرات ليس الّا !!

وكنت دائماً اسمع انّ حفلة قبول الاستاذ في الماسونيّة اوقع في القلوب من سواها تظهر فيها تلك «المشيرة» في هيئتها الصحيحة فرغبتُ الى اخي «الجاسوس الجزويتي» هذه المرّة ايضاً ان يفتح لي الابواب الموصدة فأحضر هذا الملعب الثالث او قل هذه «المأساة» لانّ «تكريس» الاستاذ اشبه بالرواية الناجحة في المراسح على الاقلّ في ظواهرها ان لم تقل في باطنها

ففي احد ايّام آذار عُقدت حفلة من هذه الشاكلة في «محفل السلام» ودُعي اليها «اخي الجاسوس» فتسترتُ انا بأذيالهِ واختلستُ اللفظة السرّيّة فافتتحت امامي بقوّة «خاتم سيّدنا سليمان» ابواب الاسراب الماسونيّة (١

وكان «الهيكل» الماسوني في ذلك اليوم لابساً حدادهُ وجدرانُهُ مغشّاة بالاسود وهم يدعون الهيكل وتتذ باسم «حُجرة الوسط» وجهتهُ الشرقيّة «دهير». وكانوا جعلوا على السواد شققاً بيضاً ورموزاً محزنة كجماجم وعظام وهياكل موتى وما اشبه منها حمراء ومنها بيضاء. اما جهة الشرق فكانت مكسوّة بالزرقة عليها شقق من الذهب وكان الهيكل مظلماً في جهتهِ العليا لا يخفّف ظلمتهُ سوى نور شمعتين ليقرأ المرشدان دورهما (وقت الملعب!). وكانوا اعدّوا نورين اخضرين من جهة الشرق مع عدّة انوار لتوقد في وقتها فتبهر النظر بزخرفها

---

١) المعلومات التي نثبتها هنا مأخوذة من كتب الماسون الرسميّة اخصّها الكتاب الفرنسويّ المطبوع في باريس بامر المجلس الماسوني الاعلى سنة ١٩٠٦ وهذا عنوانهُ Instruction pour le 3e Grade Symbolique-MAITRE-*Paris, Secrétariat général du G.·. O.·. de France, 16 rue Cadet, 1906*

ثم انهم كانوا جعلوا في صدر القاعة دكّةً يجلس عليها الرئيس وامامهُ شبه المذبح وعلى احد جانبي المذبح جمجمة ميت في داخلها شمعة موقدة تزيدها بهجةً ! . وعلى الجانب الآخر السيف الماسوني والزاوية والبركار وامام الرئيس الذي يدعونهُ هذه المرّة « الجزيل الاحترام » مطرقتهُ لكنّها مكسوّة بقطن ليُسمع من ضرباتها صوت اجشّ. وعلى جانبي المذبح العمودان جاكين وبوز فوقهما الماءان كآنية مدافن القدماء وامام العمودين يقيم المرشدان وبايديهما لفافة ورق عليها كتابة

وفي وسط الهيكل امام « الجزيل الاحترام » تابوت أضجعوا فيهِ آخرَ أستاذٍ دخل في هذه الرتبة ورجلاهُ ممدودتان الى الشرق وهو مسجًّى بشرشف اسود وعلى وجههِ منديل ابيض ملطّخ بالدم وعند قدميهِ بيكار مفتوح وعند راسهِ زاوية ماسونيّة وعند وسطهِ غصن من الاكاسيا (اطلب الصورة)

وكان الاخوة في تلك الحفلة لابسين كلّهم الثياب السود وفي ايديهم القفافيز (الكفوف) البيض وهم يُبقون على رؤوسهم قبعاتهم ويغرزونها حتى تبلغ عيونهم ويمسكون في ايديهم سيوفهم موجّهين بروسها الى الارض

فتقدّم الرئيس وجلس على الحضيض عند الدرجة التي يُصعد منها الى المذبح وكانت هيئتهُ كهيئة رجل مكروب كاسف الوجه مضطرب البال لا ينيرهُ سوى نور الجمجمة التي على مذبحهِ ليقرأ دورهُ

فبقي الاخوة في هذه الحالة كالمشنوق بازاء مشنقتهِ لا ينبسون ببنت شفةٍ كأنّهم أُخبروا بموت ابيهم او انهم وهم مع هذا يعضّون على شفاههم لئلّا يأخذ منهم الضحك مأخذهُ

وبعد هنيهة قام « الجزيل الاحترام » وطرق بمطرقتهِ كعادتهِ في الجلسات السابقة وتحقّق لدى المرشدَين والمنتهَين والحاجبَين انّ « الهيكل نظيف » لا يدنّسهُ (سواي) احد من الخوارج فاعلن بافتتاح الجلسة

وكانوا في اثناء ذلك اخذوا الرفيق المرشّح لدرجة الاستاذ فعرّوهُ من معظم ثيابهِ واخذوا احذيتهُ وطلّقوا في عنقهِ حبلًا طويلًا اداروا بهِ حول وسطهِ ثلاثاً ثم سحبهُ كالمجرم الاخ الغول ٣٣ والمرشد الاوّل حتى بلغوا باب الهيكل فطرقوهُ كطرقة الرفيق

فالمحفل لدى سماعهِ هذا الصوت تظاهر انّهُ تأثّر منهُ للغاية وصرخ الجزيل الاحترام قائلًا:

« هذه دقّة رفيق فمن هو ذاك الرفيق الجسور الذي يحضر هنا كأنّهُ يريد ان يسخر بوجلنا »

ثم طرق طرقةً وصرخ بصوت ابحّ الى الحارس ليتظر من الآتي فبحث الحارس عن الطارق واعلم « الجزيل الاحترام » بالقادم فاضطرب الإخوان لقدومهِ وأيدوا من الاسف اعظمهُ كأنّهم وقفوا على قاتل الاستاذ المطروح في التابوت

ثم امر الجزيل الاحترام بادخال الرفيق ليقفوا على حقيقة امرهِ فادخلوهُ حافياً نصف عريان مشنوقاً بحبلهِ وهو يمشي القهقرى ووجههُ الى الباب وظهرهُ الى الشرق واقاموهُ بين العمودين وكان المرشد الاوّل والاخ القول ينخسان صدرهُ المعرّى بنصل سيفهما وبقي المحفل صامتاً واجماً مدّة على هذه الحالة الى ان تفوّه اخيرًا الرئيس ببعض كلمات متقطّعة وسأل الرفيق ماذا أتى يطلب أوَ ليس هو قاتل ذلك الاستاذ المسكين الذي جثتهُ في التابوت

ثمّ جعلوا يلقون عليهِ الاسئلة و يفتشونهُ ويفحصون ايديهُ وجسمهُ لعلّهم يجدون اثرًا لدم القتيل . ولمّا انتهوا من فحصهم وعرفوا انهُ ليس بالقاتل اخذ الجزيل الاحترام يخطب امامه معظّماً لمقام الاستاذ الفقيد مطريًا لاعمالهِ الشريفة في الهيئة الاجتماعيّة متهدّدًا الرفيق المترشح لدرجة الاستاذ بكل ضروب الويلات ان كان خائناً ينوي السوء لجماعة الماسون . وكان يخلط في خطبتهِ عدّة اقوال في الفضيلة (الماسونيّة) وحرّيّة الضمير وغير ذلك ممّا الفهُ هؤلاء الخطباء المنوّهون من البلاغة المطنطنة الفارغة المعاني

وولي هذا الفصلَ الاوّل من الملعب فصل آخر يحقّ لهُ ان يُكتَبَ بحروف الذهب لحلاوته

فانّ « الجزيل الاحترام » التفت الى المترشح قائلًا : « لعلّكَ يا اخي تجهل سبب كآبتنا فلا بُدَّ ان نعلمكَ ما هو الداعي لحزننا »

وللحال اقترب المرشد الاوّل مع الاخ « القول » فكشف الواحد الغطاء الاسود عن رأس التابوت وابرز الثاني المنديل الملطّخ بالدم الذي على وجههِ الضجيع فتأوّه الرئيس قائلًا :

« اترى ايها الرفيق ؟ . فهذا هو الباعث لحزننا والسبب لمطلان دموعنا فانّ احد اخوتنا قد وقع صريعاً وقد قتلهُ بعض الأنذال الاوباش الذين كانوا من درجة الرفقة مثلك فقُلْ لنا صادقاً أوَ ليس عندك علم بهذه المكيدة الشنعاء ؟

فانكر الرفيق قطعياً واردف الجزيل الاحترام:

« فان كنت بريئاً من دمه فعليك ان تركي ذلك بدليل محسوس . فاقترب من جثته وبيّن برباط جاشك انك لست تخاف من ان يقوم الميت ويبكتك من اثمك ».

فعاد المرشد والاخ القول وقرّبا الرفيق من التابوت وهو يمشي اليه القهقرى دون ان يراه ممثلاً في مشيته هيئة الزاوية (كما ترى في الصورة التي رسمناها). ولمّا بلغ قرب التابوت قُضِيَ عليه بان يتخطّاه ثلاثاً على هيئات مختلفة وتاكّد ان في التابوت جثّة حتى وصل الى طرف رجلَيْ الميت وظهرهُ الى وجهه بحيث لا يراه. فحينئذٍ قام الميت دون ان يحسّ به المترشّح وتأمّص من التابوت فتركهُ فارغاً واختلط ببقيّة الاخوة

وفي اثر ذلك باشر « الجزيل الاحترام » بقصّة القتيل وتفاصيل قتله بعد ان اوجب على الرفيق بالاقسام المحرّجة ان لا يبوح بالاسرار التي يريد ان يكشفها له لاحد من البشر طول عمره. وكان الرفيق في وقت سماعه لهذا الخبر المفجع قائماً وعلى جانبيه من ورائه قليلاً المرشدان الاوّل من يمينه وفي يده زاوية من حديد والثاني عن شماله ماسكاً قاعدةً حديديّة ايضاً

امّا قصّة الميت فهذه خلاصتها لا يسعني ان اوردها بتفاصيلها لطولها المملّ: زعم « الجزيل الاحترام » انّ سليمان كان اتّخذ لبناء هيكل اورشليم استاذاً ماهراً يُدعى حيرام او ادونيرام عارفاً بكل فنون الهندسة حافظاً على اسرارها فحسدهُ ثلاثة من البنّائين من ذوي درجة الرفقة يُدعَون يوبيلوس ويوبيلاس ويوبيلوم فطلبوا منهُ ان يفشي لهم بسرّ صناعته وشعار التعارف بين الاساتذة. فابى حيرام وتآمر عليه الثلاثة ليقتلوهُ واتّفقوا على ان يسدّوا في وجهه طرق الخلاص لئلّا يفلت من ايديهم. فلقيهُ يوبيلوس اوّلاً في الباب الجنوبي فضربهُ على امّ رأسه

(وبينما الجزيل الاحترام كان يخبر بهذه الضربة طرق المرشد الاوّل بزاويته طرقةً شديدة على قفا المترشّح فكاد يسقط الّا انهُ « اكلها على السكت »)

قال الجزيل الاحترام: فلما رأى حيرام ما حلّ به هرب الى جهة الغرب واذا هناك يوبيلاس مترصّداً له فضربهُ بقاعدته على صدره كادت تقتله

وهنا ايضاً ضرب المرشد الثاني المترشّح على صدره بقاعدة الحديد التي بيده ليذيقهُ شيئاً من آلام حيرام. صحّتين !)

قال الجزيل الاحترام وفي آخر الامر فرّ حيرام الى الباب الشرقي رجاء ان ينجو من اعدائه واذا هناك البنّاء يو بيلوم الذي ضربه بشاكوشه في جبهته فقتله

(وهنا تكرّم الجزيل الاحترام بصفعة على المترشح فضربه بيده الشريفة على جبينه بطرقته. فكانت ثالثة الاثافي. فبلعها المترشح هنيئاً مريئاً وهو مطمئن. بل تسلّط عليه من ساعته ملاكا الموت اي المرشدان فقلباهُ ظهراً لبطن وطرحاه شاء ام ابى في التابوت كأنّه هو حيرام المقتول بدسائس اولئك الرقعة. وهندسوا جسمهُ وذراعيه ورجليه على شكل الزاوية الماسونيّة ثم غطّوهُ بالغطاء الاسود وتركوهُ ساعةً على هذه الحالة اللطيفة)

وفي مطاوي ذلك واصَلَ « الجزيل الاحترام » رواية حيرام بحيث كان (يسمعها المترشح للاستاذيّة دون ان يرى ما يجري حوله) فوصف ما أُصيب به الفعلة (اصحاب ورشة حيرام) لمّا طلبوا استاذهم فلم يجدوهُ وما قاسوهُ من الآلام ولبسهم للحداد حزناً عليه. وكيف قاموا ليفتّشوا على جثّته

وهنا قام الاخوة كلّهم وصاروا يدورون في المحفل كأنّهم أُصيبوا بشعورهم لفقد حيرام وصاروا يبحثون في زوايا المحفل لعلّهم يجدون آثارهُ (كما يفعل الصبيان بلعبة الطنّيش) وبعد التيّا واللتيا رأوا اخيراً التابوت الممدود فتفكّروا بسترّ ادراكهم انه من المحتمل ان تكون جثّة حيرام في ذلك التابوت فجعلوا يدورون حوله ولا يجسرون ان يقتربوا منهُ (مثل البسينة والجردون) حتى رأوا اخيراً غصن الاكاسيا فاستدلّوا بهِ على الميت واخذوا يرفعون بكل احتراس الغطاء عن وجه المترشح (البهلول) فرأوا جثّتهُ فنادوا بالويل والثبور. واخذ جزيل الاحترام « يُنَسدِس » الميت فامسك اصبعهُ متلفّظاً باسم « جاكين » وكأنّهُ احسّ بالاصبع تنفصل عن جسم الميت فصرخ: « ماك بناك » اي « انفصل اللحم عن العظام ». ثم اخذ الاصبع الأخرى بقوله « بُعوز » فوجدها ايضاً متفكّكةً عن العظام فصرخ ثانية: « ماك بناك ». وهنا حدّث عن حزن هؤلاء « الجاديب » ولا حرج

وبعد هذا ابتدأ الفصل الثالث من هذه الرواية المزليّة التي هي احقّ بشعوذي النّوَر منها برجال اصحاب عقل سليم

فبعد ان كفكفوا العبرات (وهي الدموع التي ينسبها الفرنج للتماسيح larmes de crocodile) والعرب للصيّاد الذابح للعصافير في شدّة البرد فتدمع عيونهُ). جعل

هيئة الهيكل الماسوني

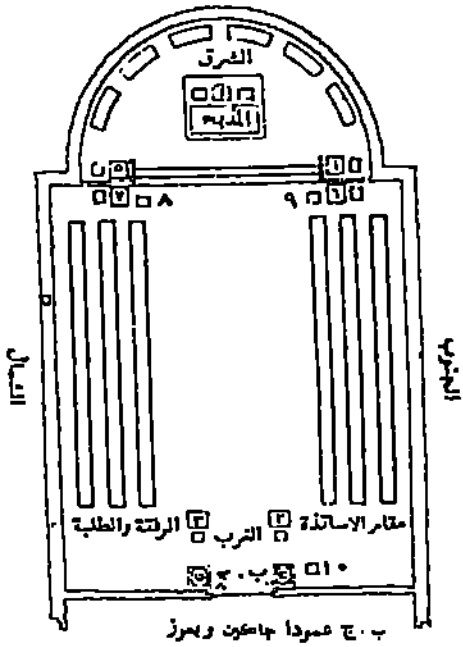

١ الرئيس المكرّم
٢ الحارس الاوّل
٣ الحارس الثاني
٤ الخطيب
٥ كاتب الاسرار
٦ مستلم الصندوق
٧ الاخ المضيف
٨ المرشد
٩ الاخ المهيب (النول)
١٠ الحاجب

محنة الاستاذ

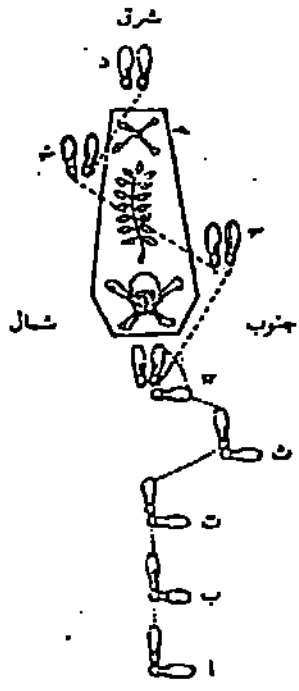

ا ب ت ث ج ح خ د هيئة الاستاذ متجهةً الى شاهوت حيرام ممثلا الزاوية الماسونية. ورأس الميت الى الترب مواجها للشرق وفي الوسط غصن الاعاسيا

الاستاذ الرفيق الطالب

مع وزراتهم واشاراتهم

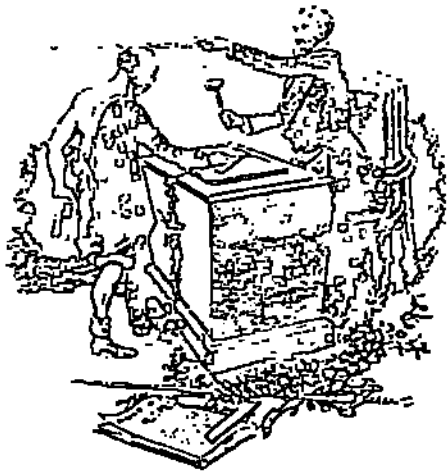

تكريس الاستاذ

الاخوة يتساءلون كيف يسدّون مسدّ ذلك الاستاذ الميت وهل يستطيعون ان يحظوا به ثانيةً. فلم ييأسوا من الامر بل ابدوا امامهم بان يفوزوا بالمرغوب

فحينئذٍ اشار الرئيس الى الاخوة « المهندسين للهيكل الماسوني » بان يزيلوا ما فيه من شارات الحداد وينيروا كلّ الانوار المعدّة في القاعة وخصوصاً في جهة الشرق المسمّاة دهير

وبينما هم يتعاون ذلك تقرّب الجزيل الاحترام من المترشح في تابوته وجعل يحركهُ ثم دعا المرشدَين الى مساعدته فاخذوا يقيمون الميت شيئاً فشيئاً دون ان يكشفوا عن رأسه وعينيه لئلا يرى إعداد زينة المحفل ثم جعلوهُ على هيئات مختلفة ليمثّل بها الزاوية الماسونيّة كأنّهم بقوّة تلك الزاوية يعيدونهُ الى الحياة فلم يلبث « الجزيل الاحترام » ان يشعر بقيامته فقبّلهُ ثلاث مرّات صارخاً « مرابون » اي قام

فابتهج الاخوة وازالوا الحال التابوت من مكانهِ فظهرت القاعة مشعّة بالانوار كما يجري كل سنة في يوم سبت النور عند احتفال الكنيسة بقيامة المسيح ولا مراء انّ الماسون يفعلون ما يفعلون متقلّدين الكنيسة كما يتقلّد القرد ما يرى صنعهُ امامهُ. ولعلّهم يريدون ان يشيروا الى انّ قيامة السيّد المسيح لا صحّة لها كقيامة ميّتهم الحيّ

ولا أُطيل الكلام عمّا جرى بعد هذه القيامة الهزليّة فانّ الجزيل الاحترام اوصى استاذهُ الجديد الوصايا الطويلة وامرهُ بان يجثو راكعاً امام المذبح ويقسم القسم المعتاد. فحلف بانهُ لا يهتك اسرار درجتهِ وانهُ يخدم العشيرة خدمة نصوحة وانهُ اذا حنث بقسمهِ يرضى بالذلّ والهوان وصنوف المصادرات وضروب الموت. ثمّ قام الجميع ومدّ الجزيل الاحترام سيفهُ على رأس المترشح وضرب بشاكوشهِ على صفيحة السيف تسع ضربات واعلن بقبولهِ في درجة الاساتذة. وانتهوا من هذه الحفلة الظريفة بأن علّموهُ كيف يمشي الاساتذة وكيف يتعارفون وكيف يتصافحون وما هي شعاراتهم والفاظهم السرّيّة وكم هي السنّ التي بلغوها في درجة الاساتذة وهي السابعة من عمرهم اعني انهم دخلوا سنّ التمييز. وخرجت الحفلة بعد طرقات وصرخات جديدة: هوزه! هوزه! هوزه!

هذه هي الرتبة الماسونيّة التي عليها المعوّل في تلك العشيرة فتراها في سخافاتها وخرافاتها العجائزة كالرتبتين السابقتين (١). فيا لله كيف يمكن ان بشرًا فيهم ذرّة من

١) وكأنّ شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي الخ الخ » خجل

العقل يلقون بانفسهم في هذه الشيعة التي تسخر منهم وتعاملهم معاملة البهائم وهي توهمهم بانها تريدهم رفعةً وتنوّر اذهانهم وتجلهم من جملة خصوصية فوق رتبة بقيّة الناس وما هم عندنا الّا اغرار اغبياء يتلاعب بهم رؤساء الماسونيّة تلاعب المرّ بالقمار والصرّاف بالدينار. ارشدهم الله الى سواء السبيل (لها بقيّة)

البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ

للسيو اوغست جوفر الفرنسويّ تريل بيروت

﴿ تعريفهُ ﴾ البرتقال شجرة من الفصيلة المعروفة بالنارنجيّة يدعوها العلماء « aurantiacées » هي مترادفة الاوراق عديمة الاذينات ذات زهور بيضاء فاتحة كأسها قصير جرسيّ الشكل وأسديتها متدغمة في صفّ واحد وقلمها اسطواني لها ثمر كرويّ ذو قشرة جلديّة مُفصَّل الى حُصَص عديدة مؤلفة من لبّ ذي عُصار وفيها بزور عديدة

﴿ انواعهُ ﴾ للفصيلة النارنجيّة ضروب مختلفة اخصّها البرتقال الذي نحن في صدده (oranger) والليمون سواء كان حامضاً او حلواً (citronnier) والكبّاد والشكاكة (cédratier)

﴿ اصلهُ ﴾ اصل النارنج وانواعهُ من بلاد الهند ومنها انتشر في بقيّة انحاء المعمور كعدّة نباتات و بقول مختلفة ودواجن الحيوان. وقد ذكر النارنج قدماء الكتبة كالشاعر اللاتيني ورجيليوس في قصائده الفلاحيّة والكاتب اليوناني ديوقريطس وغيرهما كثيرين ممّن افاضوا في وصف هذه الشجرة وخواصها الصحيحة او الموهومة . ثم عُني العرب بعد ذلك بزراعتها وشاعت في البلاد التي فتحوها كالعجم والشام والاندلس والمغرب والجزائر

من كشف تزعبلات هذه الدرجة فلم يصفها في كتابه الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة وانّما اشار اليها اشارة خفيفة بقوله (ص ٨٢) « في هذه الدرجة رمز من رموز القبر والموت اللذين يتيهما نور البعث » ونحن نعلم انّ الماسون لا يعتقدون مطلقاً بالبعث الّا من يحمل بينهم اسرار الماسونيّة كما بيّنا سابقاً

﴿ اسماؤهُ ﴾ تعدَّدت اسماء هذا الشجر عند العرب حتى وقع فيها بعض التباس فانَّ اشهر اسمائهِ عندهم النَّارنج اشتقُّوا اسمهُ من الفارسيَّة نارنك اي احمر اللون ومنهُ اخذ الفرنج اسمهُ في لغاتهم مع بعض إبدال في الحروف فقال الاسبانيُّون « naranga » والبرتغاليُّون « laranga » والايطاليون « arancia » والفرنسويون « orange ». ومن اسمائهِ عندهم الأُتُرُج والأُترجّ والأُترُنج ويقال تُرُنج وهي فارسيَّة ايضاً وربَّما دلَّ بها البعض على النارنج والاصح انها صنفٌ منهُ كبير الحجم يُعرف في الشام بالكبَّاد ويدعوهُ الفرنج « cédrat » ومنهُ نوعان آخران يدعونهما « ponci-re او « bigarade ». وقد ذكر الشعراء الأُترجّ قبل الاسلام قال علقمة بن عبدة:

يَحْمِلْنَ أُتْرجَّةً نَفَخُ العَبِيرِ بِها كأنَّ تَطْيَابِها في الأَنفِ مَشْمُومُ

ثم انَّ كتبة العرب يعدّدون للنارنج عدَّة اشكال منها القسطيّ والقرطبي والصيني. ومن اسمائهِ عندهم الليم او اللَّيمون استعارةً من الفرس ايضاً وهو الاسم الذي شاع في هذه البلاد الَّا ان الليمون في الاصل نوع آخر وهو المسمَّى عند الفرنج (citron) او (limon) ويكون حلواً او حامضاً ويُدعى الحامض بالمراكبي

امَّا اسم « البرتقال » ويقال « بردقان » و« بردقال » الشائع في القطر الشامي فانَّهُ تعريب (Portugal) كأنَّ اهل هذه البلاد اخذوا بعض اصنافهِ من البرتغاليين فنسبوهُ الى تلك الدولة والصواب انَّهُ من الهند فانَّ المسعوديّ ذكر في مروج الذهب (٨ : ٣٣٦) انَّ الخليفة العبَّاسي القاهر بالله كان لهُ « بستان غرس فيهِ النارنج وحُمل اليهِ من البصرة وعُمان مما حُمل من ارض الهند ». وكذلك نقل صاحب الفلاحة النبطيَّة قول الكظامي : « النارنج نبات هندي ويُفلح في البلدان سيما المائلة الى الدفء » وصرَّح بذلك ابن العوَّام في كتاب الفلاحة : « شجر النارنج والأُترجّ المدوَّر جُلب من ارض الهند بعد الثلثمائة (للهجرة) فزُرع بعمان ثم نُقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يُعهَد ولا يُعرَف (١) ». ومن شهود العيان على زراعة الليمون في

(١) اطلب كتاب الاب لامنس في الالفاظ المشتقة من العربيَّة Lammens : *Mots français dérivés de l'arabe*, 1887.

سواحل الشام في القرن العاشر للمسيح الرحّالة العجمي ناصري خسرو فانهُ خصَّ بالذكر في كتابهِ سفر نامه مزارع الليمون الحلو والحامض في حدائق طرابلس (١

اما اهل الجزيرة والمغرب فدعوا النارنج باسم « الصينية » كما ذكر ابن العوّام . اشارة الى الصين لظنهم انَّ النارنج منها . وذكر لهُ ابن العوّام اسمين آخرين لم نجدهما في غيرهِ وهما البستانبون والزمبوع (٢ . ومهما كان من اسمهِ فانهُ يذكر في تربيتهِ فوائد تدلُّ على اعتناء العرب بفلاحتهِ في جهات الاندلس . وممَّن اتَّسع في ذكرهِ خصوصاً بعض كتبتهم لشيوعهِ في بلادهم كابن العوّام المذكور وابن حجّاج وابن فاضل وابي الخير والكظامي وغيرهم

﴿ خواصُّهُ ﴾ لسنا نتَّسع في بيان خواصّ البرتقال واصنافهِ وقد سبقنا الى ذلك جناب الاديب توما افندي كيّال في مقالتهِ الحسنة عن برتقال صيدا في المشرق (٦ : ٢٨٩—٣٠٠) وانَّما نعلم انَّ كتبة العرب قد افاضوا في شرح منافعهِ غذاء وشراباً ومعالجةً لبعض الادواء وفي اقوالهم الغثّ والسمين الَّا انَّ كلامهم دليل واضح على اعتنائهم بزراعة شجرهِ ودرسهم لطباعهِ وتحسيناً لاشكالهِ وتنمية لثمرهِ . ولا يزال اهل جنوبي اسبانية الى يومنا يصرفون الهمَّة في تربية البرتقال ولاسيما في مقاطعة بلنسية والنحاء الاندلس . وقد اشتهرت خصوصاً حدائق البرتقال في كرختي وقسطيلونة التي تُرسَل ثمارُها الى كل جهات اوربة . ومثلها في الحسن مزروعات مرّاكش والجزائر وعلى الاخصّ في بليدة وكذلك النحاء تونس . اما برتقال يافا وصيدا فهو اعرف من ان نطريَ في فضلهِ . ولعلَّ بلاد امركة الشماليَّة وعلى الاخصّ كاليفرنية هي التي بلغت فيها اليوم مزروعات الليمون الغاية في الحسن ومثلها في جنوبي اوربة . وها نحن نقتبس ممَّا نشرهُ الاختصاصيُّون في ذلك من الابحاث المفيدة في الفصول الآتية

﴿ التربة الموافقة للبرتقال وكيفيَّة زراعتهِ ﴾ ذكر المسعوديّ في كتاب مروج الذهب (٢ : ٤٣٩) انَّ النارنج الهنديّ لمَّا نُقل الى العراق والشام عُدمت منهُ الروائح الحريَّة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيهِ بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة

(١ Voyages de Nasri Khosrou (éd. Schefer) 40—42

(٢ اطلب كتاب الفلاحة طبعة باريس Cl - Mullet : *Le livre de l'Agriculture d'Ibn - al- 'Awâm* I 292

والماء وخاصيَّة البلد ». وعلى ظنِّنا انَّ في قول المسعوديّ غلوًّا ولعل فقدان بعض خواصِّه الاصليَّة انَّما كان لقلَّة الاعتناء به . ومما لا يُنكر انَّ الفصيلة النارنجيَّة قابلة للزكاء والنموّ فترى جذورها تتأصَّل في اعماق الارض ومن ثمَّ تحتاج الى تربة كثيرة تكون مع ذلك خفيفة ناصعة اللون ولا بُدَّ من التعميق في حراثتها الى حد متر ان امكن لتزيد بذلك محاصيل شجرها ولا تقلّ من ٦٠ سنتمترًا بل هذا لا يكاد يكفي لنموّها ووفرة جناها . وشجر البرتقال يألف من الكلس والاراضي الكلسيَّة . ويستحبُّ الارض الرمليَّة المعتدلة الصلابة الحمراء او السوداء التي يكون باطنها رطباً فتوفِّر اثارهُ وعلى الاخصّ اذا كانت الارض تحتوي شيئاً من النباتات المستحجرة لما تتضمَّنهُ من الحامض الفسفوريّ في هيأة فسفات الكلس . واذا كانت التربة بالغة العمق اخذت الجذور مداها من الانتشار وتكون الشجرة زاهيةً باسقة تعلو الى ستَّة امتار

ويحسن بالزارع ان يجعل بين الشجرتين مسافة كافية تبلغ ستَّة او سبعة امتار لئلَّا تشتبك اغصانها فتستروح الشجرة ويتلاعب الهواء في الافنان وتنفذ اشعَّة الشمس في كلّ اقسامها . هذا اذا كانت التربة دسمةً عميقة امَّا اذا كانت الارض ضئيلة وصاحبها لا يستطيع ان يصلحها بالسماد المخصب فيكفي ان تُبعَّد الشجرة عن اختها مسافة خمسة او ستَّة امتار فقط

وشجرة البرتقال تحتاج الى اربعة عناصر تستمدُّ منها غذاءها وهي الازوت والكلس والحامض الفسفوريّ والبوطاسا . فالازوت قليل في الارض ما لم تحظَ بشيء منهُ ممَّا أُودع فيها قديماً من بقايا النباتات المتحفِّنة بيد انَّ هذا ايضاً ينفد بعد قليل لانَّ جذور الشجرة تمتصُّهُ وتفنيه فلا بُدَّ لها من كنيَّات جديدة فتُعطَى سماداً وسرقيناً لما في هذه المواد من سنولفات النوشادر ونيترات الصودا المحتوية للازوت

ويدخل الكلس في عصارة الليمون وفي ثمره وتركيب أنسجته ولكن لا تحتاج الشجرة منهُ الَّا الى كنيَّة نزرة زهيدة وفي الارض غالباً ما يكفي البرتقال منهُ . واذا زادت في التربة كنيَّة الكلس تأذَّت منهُ الشجرة فلا تنمو واصفرَّت اوراقها واتت باثمار صغيرة

والحامض الفسفوري سواء وُجد في التربة او نُقل اليها يكون عادةً على صورة فسفات الكلس ومنهُ مقالع عظيمة في الجزائر يستخرجونها من الارض ويُحيلونها الى

الحامض الفسفوري ويجعلونها في التربة فتمتصُّهُ الاشجار على انَّ الارض تحتوي منهُ على بعض كميات اذا تراكمت فيها بقايا الحيوانات او النباتات المستحجرة . والآن كثيرًا ما يمدُّون مدَّهُ بالسماد الكيموي الصناعي الشبيه بمقالع تونس والجزائر . ومن المعلوم انَّ جذور الاشجار تحتاج الى كميَّة وافرة من هذا العنصر فلا بُدَّ ان تعالج الاشجار به كلَّ سنة فتُعطى لهذه الغاية شيئًا من سلفات البوطاسا الذي يُباع في المتجر

ثم انَّ للحامض الفسفوري فائدةً أخرى فكما انَّ الازوت يُنمي النبات ويقوي الاغصان واقسام الشجرة الخضراء كذلك الحامض الفسفوري يساعد الشجرة على توليد ازهارها وعقد ثمارها لكنَّ الثمار لا تنضج الَّا على شرط ان تنال الجذور من الارض البوطاسا اللازمة لهذه الغاية

هذا وكل يرى انَّهُ من المستحيل ان نعيِّن هنا قاعدةً عموميَّة لبيان ما تحتاج اليه كل ارض من العناصر المارّ ذكرها لاختلاف التُّرَب عن بعضها في التركيب وتباينها في الكمّ والكيف

وما يقال بالاجمال انَّ مسألة السماد من الامور الهامَّة في زراعة البرتقال كما في غيره من الاشجار . فانَّ القدماء وقد تبعهم في ذلك الاندلسيُّون كانوا يدمّلون مزارع البرتقال بزبل الماعز وفرث الخيل والسرجين البشريّ فتأتي الاشجار بجنًى وافر . على انَّ السماد الحيواني قليل وغالي الثمن فلا يُمكن اصلاح التربة به اذا كان المُلك رحب الفناء متَّسع الارجاء فتقتضي اذن الحاجة الى السماد الصناعيّ المعروف بالكيمويّ وان لم يُحصل عليه يمكن ان يُعتاض عنهُ بنفايات الصوف وقطع الجلد البالية وقُصاصات الشعر والوبر التي تحتوي على جانب من الازوت ولا تتحلَّل الَّا ببطء وطول زمان . الَّا انَّ تسميد الارض يحتاج مع هذه الموادّ الى شيء من سلفات الكلس والبوطاسا

واعلم انَّ السماد الكيمويّ قد نال في هذه السنين الاخيرة حظوى عند ارباب الفلاحة فاتَّخذهُ ايضًا اهل جنوبي اسبانية ولاسيما سكَّان ولاية بَلنسية لتسميد مزارع البرتقال . فتحسَّنت به الارض وزادت المحاصيل ألَّا انَّ الطمع لا يعرف حدودًا فانَّ الاهلين اذ رأوا إقبال الناس على ثمارهم ورواج اسواق تيسونهم في جهات البلاد حتى انَّ الزارع منهم الذي كان لا يملك سوى هكتار واحد من الارض امكنهُ ان ينال

بعد قليل ثروة واسعة عوّلوا على زيادة تحسين الشر وتوفيره اكثر واكثر فاتت الاشجار باثمار عجيبة في كبرها ورونقها الّا انّ ذلك اضرّ بطعمها وافقدها حسن ذوقها وكانت اذا صدرت من بلادهم الى غيرها كفرنسة وانكلترّة وهولندة لا تبلغ اليها الّا وتلفت وتهرّأت فحصل من ذلك خسران عظيم حتى كسد سوق ذلك الشر الاسبانيّ . ويرى لهم ما يرى للدجاجة التي كانت كل يوم تبيض لصاحبها بيضةً من ذهب فلمّا طمعت هذه في زيادة المحصول وبالغت في علف دجاجتها انشقّت حوصلتها فافقدت الربح الاوّل

واعلم انّ البرتقال ما خلا السماد يقتضيه ماء غزير ففي الصيف ينبغي ان تُسقى الاشجار سقيًا متواترًا بحيث لا تبقى جذورها يابسة على عمق خمسة او ستّة سنتمترات من وجه الارض

ثمّ يلزم ايضًا ان يُعنى الزرّاع بالشجر ليحفظهُ نظيفًا ويقرع عنهُ الاعشاب الفضوليّة التي تُضعفهُ وادراكًا لهذه الغاية فليكرّر فلاحة الارض او نكشها بالمعول فانّ لذلك عدّة فوائد منها انّ اعشاب الربيع اذا استؤصلت بالقلع وطُمرت في الارض اصبحت من افضل السماد للشجر

وقد سبق القول انّهُ يحسُن ابعاد الشجرة عن اختها نحو مترَيْن فانّ هذه المسافة تفيد الشجر ايضًا من وجه آخر اذ تسمح للزرّاع ان يحرث الارض وحرثها افضل لتوفير الاثمار من النكش الذي لا يبالغ به الحفر

ومن الامور المهمّة في تربية البرتقال قطع اغصانهِ وتقليمها . فانّهُ من المعلوم الثابت بالتجربة انّ الاغصان المنبسطة افقيًا يكثر حَمْلها بخلاف الاغصان العموديّة التي ترتفع الى علُ فانّها لا تثمر او يكون ثمرها قليلًا جدًّا . وهو ملحوظ جدير بالاعتبار في خدمة الشجرة وتقليمها وتوجيه اغصانها حتى تقوى اخشابها ويزيد جناها . ولا بُدّ ان تبقى اوساط الشجرة فارغةً خاليةً من الاوراق وتُقطع الاغصان القريبة من الارض . فاذا تمّ ذلك كانت الاثمار متوفّرة كثيرة المائيّة حلوة المذاق

وهذا النوع من تقضيب شجر الليمون قد شاع اليوم في اميركة ليس فقط للاسباب الآنف ذكرها بل لسبب آخر اجدر بالاعتبار وهو سلامة الشجرة من الهوامّ الضارّة . فانّ الفصائل التي نُقلت الى هذه البلاد من اميركا واليابان والصين واوربّة كثيرًا ما

تصحبها الجراثيم المُمْدية والهوامّ والموادّ العفونيّة التي تجد في رطوبة الاغصان وسطاً موافقاً لنموّها فتزداد بعد حين وتنتشر في كل اجزاء الشجرة فتمتصّ كل قوّتها وتُضعفها حتى تذوي او تصبح ضئيلة قليلة الآثار. والحال انّ اشعّة الشمس وتموّج الهواء بين اوراق الشجرة وافنانها لمن أنجع الوسائط لمقاومة تلك الجراثيم الوبيئة وملاشاتها. هذا فضلاً عمّا يسقط بالتقضيب من الحشرات التي تتراكم على الاغصان فاذا قُطعت هذه تُنقل الى مكان بعيد لئلا ترد الهوامّ فتعيث بالشجرة (له بقيّة)

مجلّة النعمة والاسفار المنزلة

للاب انطون رباط اليسوعي

نشرت مجلّة «النعمة» الارثوذكسيّة مقالة في قانون الاسفار الالهيّة جارت فيه البروتستانت فانكرت وحيَ قسمٍ جليل من الكتاب المقدّس خلافاً لما تعتقدهُ الكنيسة الجامعة عموماً «والكنيسة الشرقيّة اليونانيّة الارثوذكسيّة» خصوصاً وزعمت ان ما ترتئيه المجلّة المذكورة هو معتقد كنيستها تسلّمتهُ من الرسل الاطهار فكانت وما برحت معتصمةً به لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير. ثمّ حاولت اثبات رأيها باقوال الاباء القديسين كأنّهم يرتئون ما ترتئي

ولمّا كان كلا الزعمين مخالفاً للحقيقة وكانت ١° الكنيسة الارثوذكسيّة بريئة من التهمة التي وصمها بها صاحب المقالة اذ هي ناضلت كالكنيسة الغربيّة في وجه البروتستانت عن وحي هذه الاسفار الالهية بصوت مجامعها وبطاركتها وعلمائها

ثم كان ٢° الاباء القديسون شرقاً وغرباً يؤمنون اصدق ايمان بوحي الاسفار المذكورة ويجلّونها ويستشهدون بها استشهادهم بغيرها من الكتب المنزلة

اخذنا على عاتقنا اظهار الحق دفاعاً عن ايمان الكنيسة الارثوذكسية وعن معتقد الكنيسة الجامعة فنشرنا في مجلة الشرق (١٢: ١٠٨٠—٨٣٠) بحثاً لاهوتياً تاريخياً مسهباً نظرنا فيه نظراً علمياً في القضيّة الاولى وهي معتقد الكنيسة بوحي هذه الاسفار. وأجّلنا الى فرصة اخرى القضية الثانية التي موضوعها معتقد الآباء القديسين في الاجيال الاولى من الكنيسة ريثما نرى جواب مجلة النعمة. وكنّا اثبتنا لمقالتنا قلّة كتب الارثوذكس

انفسهم وجامعهم وتعاليمهم واستخلصنا منها اهمّ الشهادات المثبتة معتقد الارثوذكسيين في وحي هذه الاسفار ولخّصناها في اربعة براهين وهي كما يلي :

١ ان الكنيسة المسيحية عموماً والكنيسة الشرقيّة خصوصاً قد اعتبرت دون انقطاع الترجمة السبعينيّة كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهيّة . وهذه المجموعة لم تعتبر الاسفار المجادل فيها ذيلاً للكتاب المقدّس لكنّها ضمّتها مختلطة بعضها مع بعض بلا ميزة ولا اشارة البتّة تنبئ بها أنّ هذه الكتب الهيّةٌ موحًى بها من الله للبشر وتلك كتبٌ بشريّة فقط لا حظّ لها من الوحي الالهي . فلو لم تقبل الكنيسة هذه وتلك كاسفار منزلة على حدّ سواء لما حفظت على ممرّ الاجيال هذا الاختلاط في مجموعتها المقدّسة ولكانت افرزت بين الكتب الموحى بها لتكون قاعدة الدين المسيحي وبين الكتب التي لم يوحِ الله بها . والّا عرّضت الكنيسة ابناءها للضلال وحاشاها من ذلك

٢ ان « مجمع القبّة » الذي يُلحقهُ اليونان بالمجمع المسكوني السادس يحيلنا لمعرفة الجدول الكامل والصادق للاسفار الالهيّة الى الجداول التي نشرها قانون الرسل الخامس والثمانون وقانون مجمع اللاذقيّة وقانون مجمع قرطجنة وان قابلنا بين هذه الاحكام الثلاثة استخلصنا قانوناً او جدولاً يضمّ اسفار الكتاب المقدّس برمّتها وهذا الجدول يحتوي على الاسفار التي انكرها صاحب مقالة النعمة خلافاً لايمان كنيسته وسبقهُ البروتستانت الى انكارها

٣ ان الكنيسة الرومانيّة تقبل هذه الاسفار ككتب قانونيّة وقد اعلنت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني وانزلت الحرم على من يتجرأ على انكار وحيها فلو كانت الكنيسة اليونانية لم ترضَ بقانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانيّة في امر هامّ كهذا ولما رضيت بجرم من يخالفهُ ولكانت عابت على الغربيين هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبة صغيرة او كبيرة الّا وانتقدت عليها امرّ الانتقاد . ولكنّك اذا تصفّحتَ كل ما كتبهُ الشرقيّون في ضلالات الغربيين — وقد عدّوها بالمئات — مع انكارهم لكثير من احكام المجمع التريدنتيني لا تجد ذكراً « لضلال الكنيسة الرومانيّة » في قانون الاسفار الالهيّة . او ليس انكار كلام الله الموحى بهِ للبشر اهمّ من « قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكراسي والمقاعد في اوقات الصلاة » وغيرها من الامور التي عاب بها الروم الكنيسة الرومانيّة .

فسكوت الكنيسة الشرقيَّة هي بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونيَّة الاسفار الالهيَّة

٤ ان الكنيسة الارثوذكسيَّة شهدت مرارًا بمعتقدها في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وذلك في مجامعها وشهاداتها الرسميَّة وتقارير امانتها كما اثبتنا ذلك بالنصوص الصريحة المتعدّدة المنقولة عن احكام المجتمعات الارثوذكسيَّة سنة ١٦٣٨ و١٦٧٠ و ١٦٧١ و ١٦٧٢ و ١٦٧٣ الخ وشهادات الكتائس اليونانيَّة في جزائر الارخبيل وكتب المعلّمين الارثوذكسيَّة المعتبرة وتآليفهم المحتوية لمعتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة كملاتيوس سيريغوس وبطرس موغيلا والبطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي واسطفان ايافردسكي وقسطنطين اركونوموس وستورزا وغيرهم كثيرين ممّن اثبتنا شهاداتهم حتى شهادة البطريركيَّة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة التي نشرت بالطبع في بيروت سنة ١٨٧٠ هذه الاسفار ودافعت عن قانونيَّتها حسب تعليم الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة دحضًا لمزاعم البروتستانت

هذه جلُّ براهيننا اثبتنا فيها معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة ودافعنا عمَّن اراد ان يلحق بتعليمها ضلالًا من هذا القبيل ونحن نعتبر ان من تأمَّل فيها بعين تريهة لا يمكنهُ الَّا الإقرار بان هذه الكنيسة كانت ولا تزال تؤمن بوحي الاسفار التي انكرها البروتستانت وتجرأ على انكارها صاحب المقالة الارثوذكسي في مجلّة النعمة

على اننا قد تحاشينا في كلامنا كل ما من شأنه ان يثير الخواطر مستندين اقوالنا الى النصوص والكتب الارثوذكسيَّة متقيّدين النسق العلميّ واصفين الكتبة المخالفين بآدب الكلام وارقّه . لكنَّ كاتب مجلّة النعمة ابى ان يجارينا في المجاملة وينظر معنا نظرًا علميًا عسى تنكشف الرغوة ويمحص الحقّ لذوي النيَّات السليمة باحتكاك الافكار فيقلّ عدد الامور المختلَف عليها بين الشرقيين والغربيّين . فلم يرضَ الكاتب المذكور الَّا نقل البحث من مجلس الدرس الى ميدان التقريع والخشونة خلافًا لما كنا نأملهُ من ذوق كاتب النعمة . واذ لسنا من فرسان هذا الميدان وكانت مقالته الاخيرة لم تأتِ ببرهان جديد ولم تمحُ ولا سطرًا من الثلاثين صفحة التي كتبناها في معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة تركناهُ وشأنه وعُدنا الى بحثنا العلمي في معتقد الكنيسة الجامعة في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وموعدنا في عدد قادم ان شاء الله

وكنّا انتهينا من كتابة هذه الاسطر اذ اتتنا مجلّة الكلمة الاميركيّة تدقّ على نغمة شقيقتها وادّعت أنّنا « تحكّكنا » زورًا بكنيسة الروم الارثوذكسيّة . كأنّ كاتب النغمة بتسطيره مقالتهُ عن الاسفار الثانويّة لم يتحكّك بكنيستنا اوّلًا ولم يزيّف معتقد الكنيسة الرومانيّة بوحي الاسفار الثانويّة فيريد ان نسكت لهُ وقد امرنا بطرس الرسول ان نكون مستعدّين ان نؤدي الحساب عن ايماننا . امّا تمييز صاحب الكلمة بين الاسفار الموحى بها في الدرجة الاولى والاسفار الموحى بها في الدرجة الثانية فلا يرضى بهِ عالمٌ اذ ليس للوحي درجات فالوحي امّا ايجابي وامّا سلبي ليس بينهما وسط . فان ثبت فهو كلام الله الذي لا يزول وان زالت السماء والارض

الرصافيّات والريحانيّات

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان صحّ ما قيل انّ الشِّعْرَ مِنَ الشعور فذلك لسري نعم الاشتقاق فان الشاعر المُجيد هو الذي لا يندفع الى تقصيد القصائد الّا اذا حداهُ اليهِ عاملٌ يحيك في صدرهِ ويؤثّر في جنانهِ فتنبعث قريحتهُ الساكنة وينطق لسانهُ الجامد بشعرٍ هو صورة محسوساتهِ الباطنة فيتغنّى بهِ . وذلك ما يُفرز الشاعر عن الناظم فانّ الشاعر يُترجم عن شعورهِ وما الوزن سوى آلة في يدهِ ليثقّ عمّا تضمّنتهُ مشاعرهِ امّا الناظم فيكتفي بالقالب ويهتمّ بالصورة الخارجة وطنطنة الالفاظ وبهرج الكلام . ذاك حليّ تنقاد لهُ المعاني فتخرج من فيهِ مكسّرةً بما يليق بها من الالفاظ وهذا ميّت مسجًّى بكفنٍ نظيف نثرت عليهِ الزهور لتستر عن جمودهِ :

اذا نظم اللسانُ بما حواهُ جنانُ المرء فادْعُهُ باسم شاعرْ
وان سبق الشعورَ لزومُ وزنٍ فما هو بالحقيقة الّا نائرْ

ولعلّ هذا الشعور هو الذي امتاز بهِ الشعر الجاهليّ عن سواهُ فانّ الشعراء الاقدمين كانوا اذا تغنّوا بالقريض جعلوا نظمهم ترجمان جنانهم ولسان وجدانهم . فلمّا ظهر الاسلام وضع صرارًا على افواههم حتى ان صاحب كتاب الاغاني وابن قتيبة وغيرهما نقلوا عن قدماء النقّادين قولهم انّ الشعر ذهب رونقهُ مع الجاهليّة ويؤيد ذلك

ما حُكم به على إمام الشعراء الأوّلين على ما روى قوم من الادباء : انّ امرء القيس اشعر الشعراء بيده لواؤهم وهو قائدهم الى النار (١ . وقد اعرب الجهابذة عن اعتبارهم للشعر الجاهليّ بضروب شتى نكتفي بحكمهم عن شعر الاخطل قال ابو عمرو (اغاني ٧: ١٢٧) : لو ادرك الاخطل يوماً من الجاهليّة ما فضّلت عليه احداً . ومثلهُ قول ابن عيدة عن ذي الرمّة (اغاني ١٦ : ١٥٥) : انّ به خُتم الشعر العربي . وذو الرمّة من المخضرمين . والحقّ يقال انّ الشعراء المفلقين بعد الجاهليّة لا يكادون يتجاوزون عدد الانامل ولن اعملت نظر الانتقاد في معظم دواوين الشعراء الذين قاموا بعد الطور الجاهليّ رأيتها غالباً حسنة القشرة عديمة اللباب تكثر فيها انواع البديع وصنوف الاشكال المزوّقة والتفنّن في التشابيه وحسن اللفظ والتعبير . امّا شعور النفس فتراهُ مفقودًا اللهمّ الّا في بعض القصائد القليلة التي قالها اصحابها عن جفن مقروح وقلب مجروح وعواطف حسّاسة وضروريّات مأسّسة كبعض المراثي والزهديّات واوصاف الاحوال

ومن آفات الشعر بعد الجاهليّة حصرهُ في بعض ابواب قليلة لا يخرج الشعراء عن دائرتها الضيّقة كالمديح المبتذل والغزل البارد والنسيب التّفه والرثاء المملّ امّا اذا طلبت شيئاً من اوصاف عجائب الكون او الحوادث الاجتماعيّة وامور السياسة او العلوم المستحدثة فلا تجد منها الّا ما لا يفي بمقصودك ولا يبرّد غليلك . وقد كنّا نطالب في بعض دواوين القرن الماضي لدى وصفنا لتاريخ آداب القرن التاسع عشر شذرات تملأ مطالعتها فنثبتها في مقالتنا كامثلة يُسَرُّ بها القرّاء فلا نكاد نجد فيها ضالّتنا

وها قد انتهت والحمد لله هذه الحالة الحرجة منذ اختاطت الناشئة العصريّة بالامم المتمدّنة ودرست آدابهم وشعرهم وادركت ما في دواوينهم من المواضيع الشائقة والمنظومات الرائقة في كل ابواب الكتابة فكأنّهم استيقظوا من منام او افاقوا من غفلة واخذوا يتفنّون في العربيّة مدارجهم ويتفوّقون آثارهم فجاء الشعر العصريّ على رونق جديد مرتديًا بثوب قشيب يتدفّق رقّة ويستفيض حسناً فترى المسلمين والنصارى يتبارون في هذا الميدان ويأتي كل شاعر بما لم يدرُ على الحسبان

ومما ظهر مؤخّرًا من المصنّفات في عالم الآداب كتابان الواحد نظم والآخر نثر

---

١) اطلب الاغاني (٧ : ١٢٠) والمزهر (٢ : ٣٣٩) والعمدة لابن رشيق (ص ٦٣)

ذلك شعر بحت وهذا يتقلد الطرائق الشعرية وكلاهما موسوم باسم كاتبه : الرصافيات وهي القصائد التي جادت بها قريحة احد افاضل بغداد المسلمين معروف افندي الرصافي. والريحانيات لامين افندي الريحاني اللبناني الماروني فاحببنا ان نصفهما للقراء فنقدر كلًا منهما قدره

١ الرصافيات

هي مجموع زهاء مئة قصيدة في ٢٣٠ صفحة نظمها الرصافي شاعر بغداد فاجاد بها واصاب المرمى ولما مرَّ في بيروت قاصدًا الاستانة ليُنشئ فيها جريدة « العرب » اقنعهُ رصفاؤهُ بان ينشر ديوانهُ فلا تتضعضع منظوماتهُ بالتفرُّق والشتات فرضي بذلك وتعهد جناب محي الدين افندي الخيَّاط بان يتولَّى الطبع في غيبة الشاعر بل علَّق على قصائده تيسيرًا لادراك معانيها شروحًا لم يسمح لهُ مرضٌ عرض لهُ بان يتمَّ منهُ سوى ثُلُثَيه

وقد قلَّب جناب متولي الطبع قصائد الرصافي فحصرها في اربعة انواع فجعل في الباب الاوَّل الشعر الواصف للكون إجمالًا فدعا منظوماته الكونيَّات. وضمَّن الباب الثاني القصائد المنوطة باحوال الهيئة الاجتماعيَّة فسمَّاهُ الاجتماعيَّات. وعنون الباب الثالث بالتاريخيَّات لتضمينهِ فيهِ القصائد التاريخيَّة. وختم الديوان بالوصفيَّات وهو الباب الرابع وآخر الابواب. وقد شعر جناب القائم بهذا التبويب انَّ فعلهُ لا يتجاوز التغليب والترجيح اذ يمكن نظم بعض هذه القصائد في ابواب شتى

ومهما كان من امر تنظيم المنظومات فانَّنا نقول بالاجمال انَّ هذا الديوان من ابدع ما أتت بهِ اقلام المحدثين لا ينقصهُ الَّا شيء قليل ليُجعل كدستور الشعر العصري في ايدي احداث المدارس يشحذون بهِ قرائحهم ويقتبسون من أنوارهِ ليحرزوا أسرار الكتابة. ومما نشتهيهِ لكمالهِ ان يُضبط بالشكل الكامل وان تُنزع عنهُ بعض الاوصاف الشقيَّة التي وان لم تبلغ المجون وخرق الآداب فمن شأنها ان تثير في مخيلة الصغار اهواء القلب الباطل كوصف الراقصات (ص ١٦٥ وص ٢٠٩) والقبلة في الغلائل (ص ٢٦١) وما رأى الشاعر في بك اوغلي (ص ١٧٤) والوسم (ص ٢١٧) يُضاف اليهما ابيات قليلة تحصر الفضل في حدود ضيقة كقولهِ في مسامحة الصديق (ص ٢١٢) :

وسامحْ صديقًا قد اساء بفعلهِ ثلاثًا فما من ذلك الفعل ينقضُ
وبعد ثلاثٍ دَعْهُ فَيْءَ مُسامحٍ فَرَفْضُ الذي دامت اساءتُهُ فَرْضُ

فاين ذلك من قول السيد المسيح لبطرس (متى ١٨: ٢٢) انهُ يجب اذا اخطأ اليك اخوك ان تغفر لهُ ليس سبع مرات فقط بل سبعين مرة سبع مرات

فهذه وامثالها لو نُزِّه عنها الديوان لاوصينا بهِ كل ارباب المدارس واثنينا بهِ الثناء التامّ دون استثناء ولا شذوذ

وقد قدَّمنا الملحوظات على ثنائنا لئلَّا تبقى عثرةٌ في طريقنا فنقول انَّ الرصافيَّ في ديوانهِ قد حقَّق تعريف الشاعر بل معناهُ فانك لا تكاد تقرأ بيتاً من ابياتهِ الَّا وتتأكَّد ان قائلهُ يُترجم عمَّا طُبع عليهِ ذهنهُ واختمر في ليهِ فينطق لسانه بما كاد يفور بهِ جنانه وايمُ الحقّ انهُ صدق حيث قال عن نفسهِ (ص ١١٢):

الشعر منتزعٌ من لبتكر ... ولستُ للشعر في حال بمُفتقر
دعوتُ غرَّ القوافي وهي شاردةٌ ... فاقبلت وهي تمشي مشيَ معتذر
وسلَّمتني عن طوعٍ مقادتها ... فرُحتُ فيهنَّ اجري جريَ متَّئد
اذا أقمتُ اقامت وهي من حذري ... وانما سرتُ سارت تقتفي اثري
طابقتُ لفظيَ في المعنى فطابقهُ ... خلوًا من الحشو مملوءًا من البِعَر
واجودُ الشعر ما يكسوهُ قائلهُ ... برَّثي ذا العصر لا الخالي من العُصُر . . .

فهذا الوصف للشعر ينطبق كلَّ الانطباق على ما يطلبهُ اهل زماننا من الشعراء المحدثين . وقد بيَّن الرصافي على صورة مبتكرة كيف تخيَّل لهُ الشعر العصري وذلك في قصيدتهِ التي صدَّر بها ديوانه وعنوانها « العالَمُ شِعْرٌ » . وقد اعرب فيها عن دقَّة نظر في الشعر الصحيح وشروطه وفنونهِ التي عليها مدارهُ وهذا اوَّلها:

قرأتُ وما غيرُ الطبيعة من سِفْرِ ... صحائفَ تحوي كل فنٍّ من الشعرِ
أرَى غُرَرَ الاشعارِ تبدو نضيدةً ... على صفحات الكون سطرًا على سَطرِ
وما حادثاتُ الدهرِ الَّا فصائدٌ ... يفوهُ بها للسامعين فمُ الدهرِ
وما المرءُ الَّا بيتُ شعرٍ عروضهُ ... مصائبُ لكن ضَرْبُهُ حفرةُ القبرِ
تُنظِّمنا الايامُ شعرًا وانما ... ترُدُّ المنايا ما نظمنَ الى النثرِ

ثم تنقَّل بين السماء والارض والبحار فوصف كثيرًا من مناظر الطبيعة واحوال البشر وبيَّن ما فيها من المحاسن الشعريَّة . ودونك واحدًا من هذه الاوصاف :

ويومٍ بهِ استيقظتُ من هجعة الكرى ... وقد قدَّ درعَ الليلِ صمصامةُ الفجرِ
فاطربني والديكُ مُشْجٍ صياحهُ ... ترنُّمُ عصفورٍ بُزَنْزِق في الوكرِ
وممَّا ازدهى نفسي وزاد ارتياحها ... هبوبُ نسيمٍ سجسجٍ طيِّب النشرِ

مار منصور دي بول

شفيع الشركات الخيرية الكاثوليكية وخصوصاً الشركة المنتمية اليه

فقُمْتُ وقامَ الناسُ كلٌّ لشأنهِ كأنَّ صَهيلَ البَيْتِ في ساعةِ النَّفرِ
وقد طلعت شمس النهار كأنها مليكٌ من الأضواء في عسكرٍ بَحرِ
بدت من وراء الأفق تزفُلُ للعُلى رويدًا رويدًا في غلائلها الحُمرِ
غدت تُرسِلُ الانوار حتى كأنها تُسبلُ على وجه الثرى ذائبَ التبرِ
الى ان جلَت في نورها رونق الضحى صقيلًا وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياةً في الشعاع جديدةً الى حيوان الارض والنبت والزهرِ
فقُلْت مشيرًا نحوها بمفارةٍ ألا انَّ هذا الشعرَ من ابدعِ الشعرِ

على انَّ جناب الرصافيّ لم يكتفِ بأن يُوضح في شعره أنه عالمٌ بفنون القريض واقفٌ على شروطهِ مُدرك لخواصه بل هو يُعرب في كل مقاطيعه عن نفس رقيقة كجُلَيْدة ادوات الفوتغراف التي لا ينفذ اليها شعاعٌ من النور الّا تأثّرت من روى المحسوسات فرسمت صورتها بكل تدقيق وضبط. وهـا نحن نثبت من شعره فقرات تشهد على قولنا. فمن ذلك روايته لقصّة مطلّقةٍ قُضي على زوجها بمفارقتها حلّانه بالطلاق على غرّةٍ دون تروٍّ فافتتح القصيدة بوصف تلك الظلومة قائلًا (ص ٥٢—٥٦):

بدت كالشمس يحجبها الغروبُ فتاةٌ راعَ نَضرتها الشحوبُ
منزّهة عن الفحشاء تَوْد من الخَفِرات آنسةٌ قَروبُ

ثم انتقل الى تعريف سبب الطلاق وظروفهِ وما لحِقَ بالزوجين لسببهِ من الكآبة:

حليلة طيّب الاعراقِ زالت بهِ منها ومنهُ جا الكروبُ
رعى ورعت فلم ترَ قطّ منهُ ولم يرَ قطّ منها ما يريبُ
توثّقَ حبلُ ودّهما حضورًا ولم ينكثِ توثّقَهُ أنيبُ
تغاضب زوجها المُخطاء يومًا باسر للخلاف بهِ نشوبُ
فأقسم بالطلاق لهم يمينًا وتلك أليّةٌ خَطَأً وجُوبُ
وطلّقها على جهل ثلاثًا كذلك يجهل الرجل الغضوبُ
رافق بالطلاقِ طلاق بتٍّ ذوو فُتيًا تنصّبهم عصيبُ
فبانت عنه لم تأتِ الدنايا ولم يعلق بها الذمُّ المهيبُ

فظلّت وهي باكية تنادي بصوتٍ منهُ ترتجف القلوبُ
لماذا يا غيب صرمتَ حبلي وهل اذنبتُ عندك يا مُجيبُ
وما لك قد جفوت جفاء قالٍ وصرتُ اذا دعوتُكَ لا تجيبُ
أينْ ذنبي اليَّ فدتك نفسي فاني عنه بمندفٍ أتوبُ
اما عاهدتني باقه ان لا يفرّق بيننا الّا شعوبُ
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقهُ الوجيبُ...

فأطرق رأسهُ خجلًا وافضى ... وقال ودمع عينيهِ ... ربُ
نجيبهُ أقصري منّي فاني كفاني من لظى القدم اللهيبُ
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوبُ

وكانَ الشاعر احسَّ بما كان في تلك الفتوى من الظلم فقال:

ألا قل في الطلاقِ لموقعيهِ بما في الشرعِ ليس لهُ وجوبُ
غلوتم في ديانتكم غلوًا يضيق ببعضه الشرعِ الرحيبُ
اراد الله تيسيرًا وانتم من التعسير عندكمُ ضروبُ
وقد حلّت بأمّتكم كروبٌ لكم فيهنّ لا لهم الذنوبُ
ومَى حبلُ الزواجِ وثقَ حتى يكادَ اذا نفختَ لهُ يذوبُ

واحسن ختامها بقولهِ:

لعلَّ الله يحدث بعدُ امرًا لنا فيخيبَ منهم من يخيبُ

وارقّ من هذه الابيات وصف الشاعر لأمّ اليتيم وهي رواية ينشقّ لها الجلمود الاصمّ. فقال بعد مقدّمة جميلة (ص ١٠٧—١١١):

وبيتٍ بكتْ فيهِ الحياةُ تعاسةً ولاحت بوجه الباس المتجهّمِ
بهِ ألفت الايامُ اثقالَ بؤسها فهاجت بهِ الاحزانُ نافرةَ القممِ
كأني أرى البُنيانَ فيهِ مهدّمًا وما هو بالخاوي ولا المتهدّمِ
ولكنَّ زلزالَ الخطوبِ هوى بهِ الى قعر مهواة الشقاء المجسّمِ
دخلتُ بهِ عند الصباحِ على التي سقاني بكاها في الدجى كأس علقمِ
فالفيتُ وجهًا خدّد الدمعُ خدّهُ وشعرًا جنينٍ بالبكا متورّمِ
وجسمًا غيفًا اضكتهُ همومهُ فكادت تراهُ الدينُ بعضَ توهّمِ
لقد جئت فرق التراب وحولها صغيرٌ لها يرنو بعينَيْ مُيتّمِ
تراهُ وما ان جاوز الخمس عمرهُ يُدبر لحاظَ اليائسِ المتفهّمِ
بكى حولها جوعًا فغذّتهُ بالبكا وليس البكا الّا تعلّلة معدمِ
واكبر ما يدعو القلوبَ الى الأسى بكاءُ يتيمٍ جائعٍ حول أيّمِ
وقفت وقد شاهدتُ ذلك منهما لمريمَ ابكي رحمةً وابن مريمِ
وقفت لديها والاسى في عيوضا يكلّمني عنها ولم تتكلّمِ
وساءلتها عنها وعنهُ فاجهشت بكاءً وقالت ايها الدمع ترجمِ
ولمّا تناءت في البكاء تضاحكت من اليأس ضحك الهازئ المتهكّمِ

ثم وصف الشاعر ما دار بينهُ وبين امّ اليتيم من الحديث:

فقلتُ وفي قلبي من الوجدِ رعشةٌ أيحنونةٌ يا ربِّ فارحم وسلّمِ

ومذ مَرضتْ للابن منها الثمانةُ ... اشارت اليهِ بالمدامعِ أنْ قُمِ
فقامَ اليها خائرَ الجسمِ فانثنت ... عليهِ فضمَّتْه بكفٍّ ومِعصَمِ
وظلَّتْ لهُ ترنو بعينٍ تجودهُ ... بفَذٍّ من الدمع الغزيرِ وتوأمِ
فقال لها لمَّا رآنيَ واقفًا ... أردِّدُ فيهِ نظرةَ المتوسِّمِ
سَلي ذا الفق يا أُمِّ أين مضى إلى ... وهل هو يأتينا مساءَ بطعمِ
فقالت لهُ والعين تجري غروبُها ... واحشاؤها يتذفنَ شعلةَ مُضرَمِ
ابوكَ ترامت فيهِ سفرةٌ راحلٍ ... الى الموتِ لا يُرجى لهُ يومُ مُنْدَمِ
مشى ارمنيًّا في المساهد فارتمت ... بهِ في بهاوي المارتِ ضربةُ مُسلِمِ
على حينِ ثارت للذوائب ثورةٌ ... أتت من حزازاتٍ الى الدين تنتمي
فقامت بها بين الديار مذابحٌ ... تخوَّض منها الارمنيُّون بالدمِ
ولولاكَ لاختَرتُ الحِسامَ تخلُّصًا ... ينفّسُ من اتعابِ عيشٍ مذمَّمِ
فانت الذي اخّرتَ انسلكَ مريمًا ... عن الموت ان يُودي بأمِّك مريمِ

أمريمُ هلَّا بعضَ ما تذكرينهُ ... فانَّكِ ترمين الفؤادَ بأسهُمِ
أمريمُ ان الله لا شكَّ ناقمٌ ... من القومِ في قتل النفوسِ المُحرَّمِ
أمريمُ فيما تحكمين تبصَّري ... فان انتِ ادركتِ الحقيقة فاحكمي
فليس بدينٍ كلُّ ما يفعلونهُ ... ولكنه جهلٌ وسوءُ تفهُّمِ...

الى ان قال في الختام:

وظلَّتْ لها ابكي بعينٍ قريحةٍ ... جرتْ من اماقيها غُصارةُ مُنْدَمِ
بكيت وما ادري أأبكي تضجُّرًا ... من القومِ ام ابكي لشقوة مريمِ

وليست روايةُ « اليتيم في العيد » (ص ٨٦—٩٣) ومأساة « الفقر والسقام » (٦١—٧١) باضعف دليلًا على رقّة عواطف الشاعر لا يتصفّحهما القارئ الّا تسيل من مآقيهِ العبَرات فيرثي لأحوال اولئك المؤسين ويثني على الشاعر الذي بكى فأبكى وليس شواعر الجنان والرحمة على المتكوبين فحنَّ عليهم القلوب واورثها الشفقة على مصابهم

ومثلها دليلٌ على كرم اخلاق الشاعر ولطف طباعهِ قصيدتاهُ في « الصديق المضاع » (١١٨—١٢٢) و« اليتيم المخدوع » (٧٥—٧٦) وسمَ فيهما بسمة العار الاصدقاء المارقين المتسحّلين الناكثين للعهود ثم النصّابين الذين لا يرثون لضعف الاحداث فيمرّضونهم للتهلكة رجاء الربح الخسيس فكأنَّ شعر الرصافي صدًى لقولهِ تعالى (لوقا ١٧: ١—٢): « الويل لمن تقع عن يدهِ الشكوك فانهُ خيرٌ لهُ لو عُلّق في عنقهِ حجرُ الرحى وطُرح في البحر من ان يشكك احد هؤلاء الصغار »

على انَّ نفس الرصافيّ ليست رقيقة فقط لكنَّها ايضاً ابيَّة حميَّة لا يسومُها ظالمٌ خُطَّة خَسْفٍ فجمعت هكذا بين الشهامة واللين وبين الأَنفة والتعطّف . ولو شئنا ان نثبت قولنا في عزَّة نفس شاعرنا لاتَّسع بنا المجال . وقد ضربنا عدَّة شواهد على قولنا في ما نقلناهُ من شعر الرصافي في مقالتينا السابقتين الحماسة الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١ —٩٦) ومنظومات الوقائع الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١—٩٦ و ٦٤١—٦٦٤) ومن هذا القبيل قصائد غرَّاء تستفزُّ محاسنُها نفوس سامعيها فتتَّقد مع نفس قائلها غيرةً وحميَّة فلا تعود ترضى بالذلّ والصغار . فاسمع رعاك الله ما ترنَّمت بهِ اوتار قريحة الشاعر في وقت الاستبداد فقال في « تنبيه النيام » (ص ٧٧—٧٩) :

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ يسومهمُ بالموبقات عميدُها
وأعجبُ من ذا أنَّهم يرهبونها واموالها منهم ومنهم جنودُها
اذا وُليت أمرَ البلادِ طُغاتُها وساد على القوم السَّراةَ سَودُها
وأصبحَ حرُّ النفس تعلو كرامُها يُردُّ مهانًا عن سبيلٍ يريدها
وصارت لئامُ الناس تعلو كرامُها وعاب ليدًا في التَّشيدِ بَليدُها
فما أنت الَّا أيُّها الموتُ نسمةٌ يزرُّ على امل الحفاظِ جعودها

ومثلها قولهُ يخاطب وطنهُ بغداد في « ايقاظ الرقود » من مخمَّس طويل كلُّهُ ناطقٌ عن نخوة عربيَّة صادقة (ص ٨٠—٨٦) :

اليكِ اليكِ يا بغدادُ عنّي فاني لستُ منكِ ولستِ مني
ولكني وان كبر التجني بعزّ عليَّ يا بغدادُ اني
اراكِ على شفا هولٍ شديدٍ . . .
ترقّى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
ومن نفث الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغدادَ قطنا
الى كم نحن في عيش الفرودِ . .
حكومةُ شبنا جارت وصارت علينا تنبذُ بما اشارتْ
فلا احدًا دعتهُ ولا استشارت وكلُّ حكومةٍ ظلمت وجارتْ
فبشّرها بتمزيقِ الحدودِ . . .

ومثلها تحشّماً قصيدتهُ المقرونة « رقية الصريع » (٩٦—٩٨) اوَّلها :

يا عَدْلُ طال الانتظارُ فعجّلِ يا عَدلُ ضاقَ الصبرُ منكَ فأقبلِ
كيفَ القرارُ على امور حكومةٍ حادت جنَّ من الطريقِ الأمثلِ
في الملك تفعل من فظائع جورها ما لم تقُلْ وتقولُ ما لم تَفعلِ
أضحتْ مناصبها تُباعُ وتُشترى فغدت تُفوَّضُ للغبي الاجهلِ

تُعطى مُؤجَّلة لمن يبتاعها ومتى انقضى الأجلُ المسمَّى يُنزَلِ
سوقٌ تُباع بها المراتبُ سُنّيت دارَ الخلافة عند من لم يعقلِ

وليست دونها اباء وترفعاً قصيدة « سوء المنقلب » (٩٩–١٠٤) مطلعها:

بغدادُ حبُّكِ رقدةٌ وسُباتُ أوَ ما تخشّكَ هذه النكباتُ
وَلَمَتْ بك الأحداثُ حتى اصبحت ادواء خطبك ما لهنَّ أساةُ

وهذه القصائد كان الشاعر انشدها قبل الحكم الدستوري وابقاها في مدافن النسيان لئلّا يعود إشهارها عليه وبالًا. فلمّا أُعلن بالدستور اوردى زناد قريحته فقال تلك الحماسيّات التي نقلنا عنها قطعاً صالحة. لكنّ الرصافي أحكمُ من ان ينخدع بالبهرجة ولم يلبث ان يرى نقائص كثيرة في الدستور واصحابه فلم يسكت عنها ورشقها بأسهم شعره المطبوع منها قصيدتهُ الحديثة التي لم تُرَ في ديوانه فوصف هذه الاحوال السيئة فقال:

شكايةُ قلب بالأسى نابضُ الحرقِ اني قائم الدستور والعدل والحقِّ
ملوك عَلَى كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتقِ
وأقسم اني لا أكون لغيرها مطيعاً ولو من اجلها ضُربت عنقي
فهل ايها الدستورُ تسمع شاكياً يك اليوم يرجو ان يرى غصة الشرقِ
لقد جئتَ من أفق الصوارم طالعاً علينا طلوع الشمس من منتهى الافقِ
فصادفت منّا أمّةً قد تمشّقت لقاءكَ حتى جاوزت مَبلَغ الشقِ
ولم نبدِ عنّا حين جئت وانما هتفنا جميعاً بالوفاقِ وبالرفقِ
وظلّنا نرجّي منك للخرقِ راقعاً ولكن تراخى الامر منّا مع الخرقِ
يك اليوم اشقانا الأولى انت مُسعِد لديهم فيا فوزَ المسدد المُشفي
نراك بايديهم عَلَى الحق حجّةً وانت عليهم حجّةٌ لا على الحقِّ
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدّوا على من حولهم منبعَ الرزقِ
كأنّا لهم شاةٌ فهم يحلبونها وكم مخضوا أوطاننا مخضة الزقِّ
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ولم يتركوا الساكنيها سوى المذقِ...
فما نحن الّا كالظماء وانتم كساقي بريّا الماء عذباً ولا يسقي...
ألم يبصروا العدل غير طريقهم فان طريق العدل من اوضح الطرقِ
وماذا عسى يجدي سقوط وزارة اذا لم تقم أخرى على العدل والصدقِ
مضى كاملٌ من قبل حلمي وان جرى كما جريا حُقّي فثلثا حُقّي...
فيا ايها الدستور فاقضِ بما ترى وأبرقْ ولكن لا تكن خُلّب البرقِ
ولسنا نريد اليوم حكماً عليهم ولكن نناديهم وندعو الى الحقِّ
تعالوا الى امرٍ نداريه بيننا وبينكم في الجلِّ منهُ وفي الدقِّ
فان يفعلوا هذا فيا مرحباً بهم والّا فيا سحقَ المعاند من سحقِ

وما يعجبنا خصوصاً في شعر الرصافي تفنُّنهُ العجيب في الاوصاف فانك تراهُ على شبه الطائر الرشيق يتقلَّب بكل خفَّة في ارجاء السماء وفي اطراف العمور ويتنقَّل بين الرياض والقفار وبين الجبال والوهاد يدقّق النظر في كل مشاهد الطبيعة فيستمير منها محاسنهـا ويدمجها في شعرهِ دون تكلُّف. والامثلة على ذلك عديدة كقصيدتهِ «بني الارض» (ص ٢٩) و«من اين الى اين» (ص ٢٧) وفيها يخاطب كل اسرار الكون:

يا قرَّة الجذب أطلقيني من ثقلة اوجبتْ هُباطي
لولاكِ لولاكِ يـا شِكالي لطِرتُ كالنور في الفضاء ...
وانتِ يـا كهرباء سرٌّ بدا وما زال في غشاء
عجائبُ الكون وهي شتَّى فيك انطوت أيُّـا انطواء ...

ومثلها في قصيدتهِ «أليكني يا ضياء» (ص ٤١):

أجدَّكِ يا كواكبُ لا تُرينا بيانًا منكِ يخبرنا اليقينـا
كأنَّ العالمَ العلويَّ سِفرٌ نطالعهُ ولسنا نُفصحينـا
نحاول منهُ اعرابَ المعاني بتأويلٍ فنرجع مُعجمينـا
كواكبُ في المجرَّة عائماتٌ حكت في بحر فسحتها السفينـا ...
تَرُدُّ النائباتُ اذا رأتنـا لو انتظمت لها عقدًا ثمينـا ...

ومثلها المعارف الحديثة والعلوم العصريَّة فانَّ شاعرنا البغداديَّ عرف من اين تُؤكل كتفها فاستمدَّ منها كثيرًا من اوصافهِ كقولهِ في وصف القطار (ص ١٦٨):

وفاطرةٍ تري الفضا بدُخانها وتملأ صدرَ الارض في سيرها رُعبا
لها منخرٌ يُبدي الشواظَ تنفُّسًا وجوفٌ بهِ صار البخار لها قلبا
تشتُّ بنا ليلًا تجرُّ وراءهـا قطارًا كصفِّ الدوح تسحبُ شُحبا
فطورًا كصفِّ الريح تجري شديدة وطورًا رخاءً كالنسيم اذا هبَّا
تساوى لديها السهلُ والصعبُ في السُّرى فما استوحلت سهلًا ولا استصعبت صعبا
تدكُّ متون الحزن دكًّا واهيا لتذهبُ سهل الارض في سيرها نهبا
يمرُّ بجـا العالي فتعلو تسلُّقًا ويعترض الوادي فتجتازهُ وثبا
وتخترق الطودَ الأشمَّ اذا انبرى وقد وجدت من تحت فتَّتهِ تربا
يرنَّ بجوف الطود صوت دويِّها اذا ولجت في جوفهِ النَّفَقَ الرَّحبا
لها صَيْحةٌ عند الولوج كأنها تقول بها يا طود خلِّ ليَ الدربا ...

وفي شعر الرصافي غير ذلك من المحاسن يقضي علينا حرَجُ المكان بالسكوت عنها وفي ما سبق ما يشهد على صدق مديحنا فعسى كلامنا يبعث في قلوب قرَّائنا الرغبة في مطالعة هذا الديوان الفريد وفي شعرائنا اقتفاص آثارهِ الطيِّبة

٢ الريحانيات

أسكرتنا الرصافيات فكادت تُنسينا الريحانيات. وأننا لعمر الحق كنا نود ان نطرئ نثر اللبناني كإطرائنا شعر البغدادي وقد قدمنا انّ الشعر بالمعاني اكثر منهُ بالوزن. وزدنا في مطالعتها شوقاً انّ بعض الكتبة مدحوا « سموّ خيالها الشعري ودقّة مسلكها النظري » وادّعى صاحبها انها « شعر منثور » فطلبنا فيها صورتها الشعرية « المنسوجة (كما قالوا) من خيوط الشمس والملوّنة بألوان الحقول » او معانيها الفلسفية والاجتماعية بيد أننا عُدنا من الوجهين بخفّي حنين

امّا الصورة الشعرية فاني لستُ انكر انّ في انشاء الريحاني بعض الشبه بمقالات العصريين من الكتبة بين الفرنسويين والانكليز والايطاليين فجرى في العربية مجرى اولئك الكتبة في لغاتهم وكثيرون من أدبائنا المحدثين اخذوا منذ سنين ينهجون هذا المسلك وليس هو بالوعر ولعلّ بعضهم يلتجئون الى زخرف الانشاء وتزويق الكلام ليستروا فقر معانيهم وعقم افكارهم وعلى كل حال لو قابلنا بين انشائهم وانشاء الريحاني لما رأينا فرقاً بينهُ وبينهم بل منهم من يفوق عليهِ في معرفة اللغة وفضلهُ في ابتداع التشابيه وابتكار التعابير اللطيفة

ثم انّ للشعر مزيّةً أخرى لا نُدحة عنها لناظمه نريد سداد الكاتب والصواب في كلامهِ قال الشاعر:

فان لم تجد قولاً سديداً نقولهُ فصمتُك عن غير السَّداد سدادُ

فان كان السداد فرضاً واجباً على الشاعر فما قولك بهِ على الناثر. وهيهات ان يحلي الريحاني كتاباتهِ بهذه الصفة كما سترى

فهلمّ الآن الى الوجه الثاني من المزايا المنسوبة الى الريحانيات اعني المعاني البليغة والحكم الاجتماعية والنظر الفلسفي حتى انّ البعض سمّوا كاتبها « بالفيلسوف الصغير »

اي والحق انهُ لصغير وأصغرُ الصغار لأنّ الفلاسفة كما أجمعَ على تحديدها ارسطو وكبار الحكماء من بعدهِ هي معرفة الاشياء بعللها القاصية والله سبحانهُ وتعالى علّة العلل وسبّب كل المسبّبات يؤدي بنا الى معرفته نور العقل فضلاً عن الايمان. وترى الريحاني في كثير من كتاباتهِ يجهل تلك العلّة القصوى ويلقي في العقول زوّان الشكوك في وجودهِ تعالى وفي اصل الكائنات وغايتها. فاسمع أيها القارئ وردّد كلمة السيد المسيح

على صليبه : « اغفر له يا ربّ فانّهُ لا يدري ما يفعل » ولا ما يقول . وتحقّق ما في كلامه من النَّفَس الشعريّ زه ! زه ! قال (ص ٢١٧) سامحهُ الله :

« الجرذان في قبوكَ لا يعرفون ما اذا كان القبو ثابتاً الى الابد او الى حين ولا يعرفون مَن شيّدهُ ولماذا . انّما هم يعيشون في زاوية منهُ او بالحري في ظلماتهِ فيجدُّون في طلب رزقهم ويدافعون عن انفسهم ويحربون من وجه الحيوانات المتسلّطة عليهم فيضاعفون فلهم ويضاعفون في ذلك عذابك هذه زبدة حياتهم ومصلها في القبر الذي بنيتَهُ لنفسك لا لهم . والبشر في هذه البيّارة الصغيرة التي تُدعى الارض انما هم سجلّ شأنك — كالجرذان فانّنا نعمل كأحقر المخلوقات في الظلمات ولا نعرف ما اذا كان العالم ثابت (كذا) الى الابد او الى حين ولا نعرف الغاية التي من اجلها شُيد هذا القبو الذي يُدعى الارض ولا الغاية من وجودنا فيهِ ناهيك عن قصد البنّاء العظيم الذي . . . حسنًا انما نحن كالجرذان » (كذا بحرفهِ)

فما ابدع هذا الكلام الشعري في فم « الفيلسوف الصغير » بل « الجرذون الكبير » وهو الاسم الذي اختارهُ لنفسهِ فليتمتّع بهِ . ومثل هذا قولهُ في محلّ آخر (ص ٢١٤) انّ الفلاسفة كلّهم حتى اليوم « لم يورثوا العالم سوى الاوهام والشكوك » وان « الكون كيفما نظر اليهِ العالِم يظلّ فوق علمهِ » فما احرى بالانسان ان يعود الى الهمجيّة ويعيش كالعجماء اذ لم يستطع على قول « الجرذون » ان يقف على بعض حقائق الكون والحياة !

وقس على هذا اقوالاً كثيرة بل مقالات واسعة يُستشفُّ منها روح الكفر بل يجاهر بهِ علناً دون حياء ولا خجل كمقالتهِ عن فُلتير (ص ١٦٠) حيث يحضُّ كل اديب سوري (كذا) ان « يخرج من عالم الخرافة المظلم الى بلاد الحريّة العامرة فيذهب توًّا الى فُلتير ليقدّم لهُ الجزية » وما ادراك مَنْ فُلتير ! أوخم الكتبة وارذلهم الذي خان وطنهُ وباع دينهُ وتقوّض اركان كل تمدُّن وهيئة اجتماعيّة . ومثلهُ جان جاك روسو الذي شرَّفهُ الريحاني بمقالة كفلتير . فاسمع وصف السيّد جمال الدين الافغاني لهذين الرجلين الاثيمين واقض القضاء الواجب في الريحانيّات وصاحبها . قال ولله درُّهُ من قائل :

« الشعب الفرنساوي شعبٌ كان قد تفرّد بين الشعوب الاوروبيّة . . فرفع منار العلم . . وصار مشرقًا للتمدُّن في سائر الممالك الغربية . . . . حتى ظهر فيهم « وولتير » و « روسو » يزعمان حماية العدل ومنالة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي وأحييا ما بَلي من عظام الدهريين ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما انّ الآداب الالهيّة خيالاتٌ خرافيّة كما زعما انّ الاديان مخترعات احدثتها نقص العقل الانساني وجمعا كلامها بانكار الالوهيّة . . . فاخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة المسيويّة . . . والاضاليل التي بثّها هذان الدهريّان « وولتير وروسو »

هي التي اضرمت نار الثورة الفرنسويّة ثم فرّقت بعد ذلك اهواء الامّة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها . . . واوغلوا في سبل الخلاف . . . حتى تباين صدمهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية . . . »

فهؤلاء وامثالهم من الأنذال هم الذين مدحهم الريحاني وطلب من كل سوري اديب ان يقدّم لهم الجزية بخٍ ! بخٍ ! فنِعْم المادح ونعم الممدوحون !

فليس عجب بعد هذا ان كان الريحاني يصوّب سهام كفره الى الدين النصراني خصوصاً بعد نبذه كل دين . ولا يظنّنّ ادباء المسلمين انّ الريحاني يعتبر ديانتهم لقوله (في الصفحة ٢٢٠) :

« من اجلّ ما قرأته في الكتب المقدّسة نغمة القرآن فهي صلاة جديرة بان يردّدها بقلب حيّ كل انسان كل يوم من السنة : اياك ربّ . . . ن نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم »

فانّ كاتب هذه الاسطر يسخر من دينهم كما يسخر من دين نفسه لانّ على زعمه (ص ٢١٤) اي دين كان يمكنهُ ان ينير القلب من الانسان « ولا فرق ان يذكر المرء مع الدراويش او يسجد مع اليسوعيين او يغتسل في نهر الغنج مع البوذيين » (كذا)

وقد حكم في محلّ آخر (ص ١١٢) بما يهتك ستر غباوته حيث قال ان « المسيحيّة في حالتها الحاضرة لمدوّة المسيح وان يسوع وكنيستهُ على طرفي نقيض »

هذه بعض اقوال رجل ماروني يبصق في وجه ديانته علانيةً وما تعزّز بعض كتبة الجرائد من الثناء على كتابه ! !

وان كانت هذه معتقداتهُ في الدين فانّ مبادئه الادبيّة على مثال دينه فانّ الريحانيّات في كل صفحة من صفحاتها تتضمّن مبادئ ماتبة سيّئة واصولاً فاسدة ثوريّة فتارةً يشنع على اصحاب السلطة الدينيّة وتارةً يزري بكل سلطة مدنيّة حيناً (ص ١٦٤) ينسب الى الحبر الاعظم ما هو براء منهُ اغراء به وحيناً يحرّش الفقراء على الاغنياء وطوراً يستمع التسميات الباطلة فلا يرى في كل ما هو شريف جليل سوى دغل وخداع ومكر . واذا رفع عملاً صالحاً لا ينوي الّا تنكيس صالح آخر كأنّ الخير عدوٌّ للخير . اسمع بعض « بذوره للزارعين » (ص ٢٠٨) :

انّ حسنة واحدة تأتيها لخير من ليالٍ بالصلاة تحييها (كأنّ الصلاة ليست من الحسنات !)

انّ التعبُّد في الصالحات لا في تمتمة الصلوات (كأنّ المصلّين بنباوات يتمتمون ولا يدرون ما يقولون !)

ربَّ صغار يلبسون اصدق من شيوخ يتورَّعون (كأن الشيوخ المتورِّعين مراؤون منافقون مثلهُ !)

ربَّ عمة في موبقات الوجود اصحّ ديناً من راهبات السجود (انظر رعاك الله كيف يحكم هذا الكاتب بأوثاق الملائكة اللواتي يصرفن حياتهنَّ باتهاد غضب الله بصلواتهنَّ . وكأنهُ ليس بترجمان مئات من راهبات المحبَّة اللواتي يخدمن كل المرضى اليائسين بمحبَّة سماويَّة !)

ربَّ كافر عمَّال للخير احبُّ الى الله من راهب في الدير (كالريحاني مثلاً الذي يقضي حياتهُ في البرّ والصلاح وكل يعرف مبرَّاته العديدة !!)

فيرى القرَّاء انَّ هذا الكتاب اقبح مـا طُبع الى اليوم في الشرق من التآليف الكفريَّة ونتعجَّب انَّ طبَّاعاً ينتسب الى الطائفة المارونيَّة تولَّى نشرهُ وشارك بذلـك المؤلف بكفره كما يشاركهُ باءة هذا الكتاب وقرَّاؤهُ دون رخصة من المفوَّضين بذلك. فانَّ قوانين البيعة تضرب بالحرم من يسعى بكتابة مثل هذه المصنَّفات ومدحهـا في الجرائد ونشرها في الاسواق . وأملنا كل الامل من رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة ان يحذِّروا ابناءهم من قراءة هذا التأليف لئلَّا ينفث فيهم سمَّهُ. فشتَّان بين الرصافيات والريحانيَّات وشتَّان بين خمر وخلّ.

مطبوعات شرقية جديدة

K. Jnostranzew Persidskaja literaturnaja tradizija w pierwije wieka islama. *S. Petreburg*, 1909.

تأثير آداب لغة الفرس في تآليف العرب في صدر الاسلام

لا يخفى على احد ممَّن له المام بتاريخ العرب القدمـاء وآدابهم ما كان للدولة الساسانية من التأثير عليها في كل احوالها فقد تبيَّن من ابحاث المستشرقين العديدة مـا اقتبسهُ الاسلام مع توالي الأيام من معتقدات قدمـاء الفرس وعوائدهم . امَّا ارائهم السياسية فتأثيرها قد تجاوز حدّ الدولة العبَّاسية الى الدول غير العربيـة التي قامت على أنقاضها. فان كتاب « سياسة نامه » الذي ألَّفهُ نظام الملك وزير الدولة السلجوقيـة الشهير ليس الَّا مرآة التمدُّن الساساني. لكنَّ اشدّ ما كانت قوَّة هذا التأثير في آداب اللغة العربية في القرون الاولى للهجرة ولا حاجة الى ذكر تقليبات كتابيْ « الف ليـلة وليلة » و « كليلة ودمنة » فان من المعلوم أن العرب اخرجوا هاتين الدرَّتين الثمينتين من بحر آداب بني ساسان كما استمدَّها هؤلاء من كنوز الهنـد. ولم يكتفِ العرب

بهذين التأليفين بل ترجموا او لخّصوا في لغتهم عددًا من كتب قدماء الفرس في العلوم ولاسيما في الآداب والحكم والمواعظ. ولو راجعت كتاب الفهرست لابن النديم لوجدت فيه ذكر نيف واربعين مؤلفًا من هذا الصنف. ومع اتساع هذا الباب قلَّما طرقهُ اهل البحث وهو لعموي مسلك وعر لان معظم تلك الكتب قد لعبت بها ايدي الزمان ولم يصل الينا منها إلَّا القليل مع ما يستدل عليه من شواهد مؤلفي العرب ولذلك يجب على الباحث في هذا الموضوع ان يكون لهُ الاطلاع الواسع والخبرة التامّة بقسم كبير من الكتب الادبية كتأليفات الجاحظ وابن قتيبة والبيهقي وابن مسكويه وكثيرين غيرهم. ولكن كل ذلك لا يجديه نفعًا اذا لم يكن لهُ إلمام تامّ بآداب اللغة البهلويَّة فإن اسماء الكتب او المؤلفين في الفهرست المذكورة قد ذهبت بها ايدي الضياع وتصحَّفت وتحرَّفت بحيث لو رآها المؤلف نفسهُ لما عرفها الَّا بعد تأمّل وفكر. وهذان الشرطان اعني سعة الاطلاع على المصادر العربيَّة والمعرفة التامّة بالآداب الساسانيَّة متوفّران في المستشرق الروسي قسطنطين إينوسترانسيف فانَّهُ خصَّص قسمًا كبيرًا من تأليفاته العديدة التي يقدّرها علما اوربا حقّ قدرها التنقيب عن تأثير آداب بني ساسان في احوال العرب وآدابهم. وقد سبقت منهُ في هذا الموضوع ابحاث عن كتاب « آئين نامه » وعن اعتقادات الفرس في الزجر والفراسة حسب شواهد العرب وعن عيد النيروز عند بني ساسان وعن لعبة الصولجان وغير ذلك ممَّا لا يَسَعنا تعدادهُ. وها قد رأينا بين المرَّة تأليفًا جديدًا لهذا المستشرق الفاضل وجدنا فيه من آثار سعة المعرفة ودقة النظر ما عهدناهُ في تآليفه السابقة. ولا يبعد ان يكون البحث الجديد اعلى منهُ طبقة بكثرة فوائده. وهاك ملخَّصهُ: بعد نظر اجمالي في احوال الدولة الساسانيَّة واصلها ومتميّزاتها انتقل المؤلف الى البحث عن الاماكن التي بقيت فيها الآثار الادبيَّة بعد فتح العرب والاشخاص الذين كانوا يعتنون بحفظها فبيَّن بادلَّة تاريخيَّة عديدة ان قطانها كان متَّسعًا في بلاد طبرستان وخراسان ولاسيما فارس قلب الدولة القديمة. وساعد على حفظ هذه الآثار الثمينة الموبذون اي كهنة الفرس والحزب المعروف باسم الشعوبيَّة. وتلك البقايا كانت منطوية على انواع عديدة بينها كتب التاريخ والعلوم والآداب والحكم. وقد دقَّق النظر في ما كتبهُ ابن النديم في فهرسته من اسماء المؤلفين او المترجمين او الكتب وردَّها الى الاصل مصلحًا كل ما فيها عن تحريف او

تصحيف. ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالبحث الاجمالي في هذا الموضوع بل دقّق النظر في تآليف الكتّاب الذين لهم شهرة خصوصيّة بمعرفة آداب الفرس كابن مسكويه وابن المقفع وعمر بن الفرّخان وعلي بن عبيد الريحاني وكتاب التاج الذي ذكرهُ ابن قتيبة. وجاء كتابهُ على هذا الوجه خزانةً في هذا الموضوع وهو مذيّل بفهرس يسهّل استعمالهُ لكل من يريدهُ. وهنا فليسمح لنا الكاتب المجيد ان نستزيدهُ من الابحاث في هذا الموضوع وجيزًا لو اتحفنا بكتاب يجمع فيهِ كل ما تقرّر من تأثير الدولة الساسانيّة على دولة العرب من كل جهاتهـا فان المؤلف قد برهن في مقالاته العديدة على استعدادهِ التام للقيام بمثل هذا العمل. وقد جعل الكاتب تأليفهُ هذا تذكارًا لمعلّمهِ المرحوم البارون روزن ونحسبُ احسن مدحٍ للكتاب قولنا انّهُ جدير بهـذا العالم الذي هو شيخ المستشرقين في روسية ا. كراتشقوفسكي

La Clé de la Conversation Abyssine. Vocabulaire, Phrases, Conversations. Verbes et Correspondance. Par le Chevalier A. Raad et B. Ghaleb. *Imprimerie Catholique, Beyrouth (Syrie).* 1910, pp. 288

مفتاح المكالمات الحبشيّة

نوّهنا في العدد السابق (ص ٣١٥) بوصف الكافلير عبد الله افندي رعد للّغات الشائعة في الحبش لاسيما الاحريّة التي هي اللسان الذي يتكلّم بهِ اهل تلك البلاد. فتسهيلًا لدرس هذه اللغة قد اتّفق جنابهِ مع احد التاجرين في تلك الاصقاع فوضع كلاهما كتابًا صغير الحجم لطيف الصورة ضمّناهُ معظم ما يحتاج اليهِ المهاجرون الى الحبش للتكلّم بلغة اهلها كالمفردات والجمل والتعابير والمكالمات والمكاتبات وذلك باللغة الافرنسيّة والحبشيّة واضافا اليها صورة لفظ الحبشيّة بالحرف الافرنجي فنحضُّ كل من يُعنى بدرس اللغة الاحريّة ان يجعل هذا الكتاب كدليل يرجع اليهِ في كل مشاكلهِ لعموم فوائدهِ. وهو مطبوع في المطبعة الكاثوليكية بالاتقان المعهود

Internationales Taschenbuch für Orientalisten. Herausgegeben v. Rudolf Haupt. 2er Jahrgang 1910, *Leipzig*, 1910. XXXI-270. Mk, 4.80.

مذكّرة المستشرقين

نثني على همّة صاحب هذه المذكّرة الكتبيّ رودلف هوبت في ليبسك الذي رأى ما للمستشرقين من الطور العظيم في عالم الآداب فوضع لهم السنة الماضية كتابًا

يتخذونهُ كوصلةٍ للتعارف والتعاضد. فصار لتأليفهِ رواج. وفي هذه السنة عاد الى طبعهِ وحسَّنهُ كثيرًا وضمَّنهُ كل ما من شأنهِ ان يزيد علماء الشرقيات تقرُّبًا وائتلافًا وقد افتتحهُ بالخُص تراجم موتى السنة وألحق ذلك بقوائم التواريخ التي يحتاج اليها المستشرقون يليها نظر في الحفريات والاكتشافات الشرقيَّة الحديثة وفي اثرها جدول المستشرقين وعناوينهم وقائمة الجمعيَّات الشرقيَّة والمجلَّات التي ينشرهـا علماء الشرق واسماء ارباب الامور في الدول الشرقيَّة. وجعل مسك الختام ٢٥ صورة شمسيَّة بديعة لمن توفَّاهم الله حديثًا من المستشرقين جزاهُ الله خيرًا

ل. ش

السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية

بقلم الفيكونت فيليب دي طرَّازي (بيروت ١٩١٠ ص ٤٨٢)

كثيرًا ما استنهضنا الهمم على درس التواريخ الشرقيَّة وجمع آثارها ورغبنـا الى العارفين ان يتحفونا بسير الاسلاف الامـاجد الذين زيَّنوا مفرق الشرق المسيحي الكاثوليكي بجليل اعمالهم وتفانيهم وعطَّروا الخافقين بعرف غيرتهم وفضيلتهم وتمنَّينا لو اطَّلع الخلف على ما احتملهُ السلف في سبيل الدين والوطن فيكون مثالهم عبرةً وقدوةً ولهذا نثني اطيب الثناء على همة الفيكونت فيليب دي طرازي الذي التحف طائفتـهُ والتحفنا بهذا السفر الخطير وقد وصف حضرة المؤلف في مقدَّمتهِ ما عاناهُ من الاتعـاب اثمَّ شتات المصادر التي اخذ عنها قال:

« انَّ الاخبار المنسوقة في هذا التاريخ قد التقطتها من كتابات مهجورة او رسائل منثورة او كتب حديثة وقديمة او كراريس مهملة . . او صكوك وبراآت الخ . . ثم قابلت بعضهـا ببعض لتفريق الغث من السمين ولتوفيق بين تباين اقوال الكتبة الصادقين . . وزيَّنت الكتاب برسوم بعض الاساقفة التي اتاح لي الحظ ان اتوصَّل اليها . . »

وقد تتبَّع المؤلف سلسلة الاساقفـة السريان الكاثوليكيين او المتكلكين في ماردين واورشليم والموصل وبغداد وحلب وآمد ودمشق والجزيرة وحمص وحماة ومذيات وطرابلس والرها وبيروت في هذه القرون الاخيرة نقلًا عمَّا يُوثق بهِ من النصوص الاصليَّة ذاكرًا تاريخهم وواصفًا اصلهم وعائلتهم واعمالهم فجاء كتابهُ موثَّقًا غزير الفوائد يقدِّرهُ العارفون حقَّ قدرهِ وقد طالعنا بزيد الثناء على همَّة الكاتب الفاضل والبيوردیات اللاحقة باخبار البطريركين اندراوس اخيجان وبطرس الرهاوي وهي من الآثار العزيزة

التي يصعب الحصول عليها. ولا شك ان اقبال القرّاء على مطالعة « السلاسل » يستحثّ المؤرخ النشيط على مواصلة العمل فيستحق الشكر والثناء من مريدي تاريخ الشرق عموماً وابناء ملّته خصوصاً ا. ر

كتاب الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم

الفقيه الامام الاستاذ ابو منصور عبد القاهر . . البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) . وقف على طبعه وضبطه وتعليق حواشيه محمد بدر احد اعضاء الجمعية المولكية بايدنبرج ومحرّر بدائرة المعارف الاسلامية بليدن (هولندة). طُبع في القاهرة بمطبعة المعارف (ص ٣٩٠)

يسرّنا ان ننظر لاوّل مرّة اديباً مصرياً مسلماً يجري على مثال المستشرقين في نشر كتاب قديم. ولا غروَ فانّ محمّد افندي بدر درس في المانية وحاز شهادات كلّياتها. ومما وقف عليه في مكتبة برلين الشرقيّة سفرٌ جليل لاحد كتبة القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح فاخذ رسمه بالفوتغراف وطبعه في مصر طبعاً متقناً وقدّم عليه المقدّمات في تعريف الكتاب وفهرس اسماء المذكورين فيه على حروف المعجم. وهو مصنّف مفيد جدًّا لتعريف اصحاب الشيع والمبتدعين في الاسلام وبيان اقوالهم وآرائهم الدينيّة كتأليفَي الملل والنحل للشهرستاني ولابي حزم الاندلسيّ. ومع استحساننا لهذا الاثر كنّا احببنا لو نقل محمّد افندي بدر كما يفعل الاوربيّون ترجمة مؤلف الكتاب عن ابن خلكان وابن قتيبة ومعجم البلدان لياقوت وعن طبقات الشافعيين. وكذلك لم يُحسن الدلالة [ص (١) ٢٥] الى كتاب الحاج خليفة. ومما كنّا نتمنّاه لزيادة حسن هذه الطبعة بعض التذييلات والحواشي التي يحتاج اليها المطالع وان شاء الله يتمّ كل ذلك في طبعة جديدة فيصير هذا الكتاب قدوةً لكل من ينشر اثرًا قديماً ل. ش

كتاب الذِمم في احوال الامم

للدكتور و. ف كرفتس عرّبه القس بشاره بارودي (المطبعة الاميركانيّة في بيروت ١٩٠٩ ص ٦٤)

ان مؤلّف هذا الكتيّب قد طرق في صفحات قليلة ابواباً كثيرة وابدى احكامهُ الشخصيّة في كثير من المسائل الادبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتجاريّة والتاريخيّة الخ التي لا يتجرأ العالم على حلّ بعضها الّا بعد طول النظر والمطالعة والتنقيب. ولذا تراهُ قد جمع في كلامهِ بين الصريح والغامض والصحيح والمشبوه والممكن والمحال والضروري والمفيد فاصاب احياناً المرمى واخطأهُ مراراً ولو اردنا نقد كلامهِ لكتبنا

مجلّدات. وممّا ناخذهُ عليهِ سكوتهُ عن اساس اتحاد الامم وترقيها وهو الدين القويم والمبادئ الادبية وعن عوامل المدنيّة التي نشرت كنيسة المسيح الحقيقية لواءها في كل قطر وصوب حتى بين الشعوب الهمجية (١ كما ناخذ عليهِ تخصيصهُ بالاطراء البلاد التي نشأ فيهِ وتكلّم بلغتها تاركاً ما لغيرها من الفضل على العالم في جانب العدل والانصاف والموازرة والخير العام. امّا ما جُعل على هامش الكتاب من السؤالات التي علّقها الكاتب او الناشر لتُعرض على الدارسين فيتناظروا في الجواب عليها ويتباحثوا فلا ندري ما نقول فيها لما نجدهُ في نصوصها من التطرُّف او الحكم السابق سماع الدعوى. ودونك مثلاً ناخذهُ عن الفصل الاوّل ايضاً. قال: « هل تأخُّر جنوبي اوربا مسبب عن احكام الإعدام الكثيرة التي اصدرها اصحاب السلطة وقت الاضطهاد ؟ » فقد جمع في سطر واحد اربع او خمس قضايا تاريخية واجتماعية ودينية وادبية وغطّاها برداء الابهام ولم يثبت ما يفهم بتأخر جنوبي اوربا ولا ما يريد بوقت الاضطهاد ولا بأحكام الاعدام الكثيرة فعرَّض بهذه الاسئلة قرّاءهُ الى الاوهام دون جدوى. وقس عليهِ الباقي ١٠ر

المجالي التاريخية في ترجمة الراهبة هندية

الجزء الاوّل. بقلم القس بولس عبّود الفغالي

طبع في بيروت في مطبعة التوفيق سنة ١٩١٠

تذكّرنا بعد مطالعة هذا الكتاب اسم رواية حديثة للاديب امين افندي ظاهر خير الله دعاها « المرأة ملاك او شيطان » اي والحق وهذا التأليف دليل جديد على صحّة ذلك. على انّ بعض النساء لا يبلغنَ قمر الاتم الّا بالتدريج فيكنَّ في اوّل الامر سليمات النيّة صادقات الفكر الّا انهنَّ يستسلمنَ الى بعض اهواء النفس الامّارة ويلقين اليها مقاليد امرهنَّ دون ان يجاهدنَ لقائمها من قلبهنَّ فيُضحين بعد قليل أسيرات للاهواء

١) وقد احسن جناب الاديب عبد الوهّاب افندي التبّر بانتقاده على بعض مزاعم هذا الكتاب (في الاقبال ع ٣٤) كقولهِ مثلاً في الصفحة ١٤: « عُرض على جميع الملوك والدول ما عدا البابا والسلطان ان يُمضوا معاهدةً مبنيّة على مبادئ مسيحيّة نظمها القيصر » فاردف جناب المنتقد: « قال (صاحب الكتاب) انّ هذه المعاهدة مبنيّة على مبادئ مسيحيّة فلهم المعذرة على عدم عرضها على جلالة السلطان بذاك الوقت لكن يا تُرى ما الذي حملهم على عدم عرضها على قداسة البابا اما هو مسيحي ومن الذين يتفانون بالمبادئ المسيحيّة نرجوهُ التبيان . . . »

الباطلة مخدوعات بمخيلتهنّ حتى يحلمن العذار ويرمين كثيرين بشرّهنّ. وهذا ما يلوح لنا من ترجمة الراهبة هندية التي يغلب على ظننا انها كانت في بدء حياتها صالحة ترغب حقيقة في خدمة الله الّا ان المجد الباطل استولى عليها فارادت ان تنشئ اخويّة خصوصيّة وغمّا عن نصائح مرشديها الاولين الآباء اليسوعيين الذين لم يردّوها عن فكرها الّا لعلمهم بأميالها المنحرفة فأبت النصح وتركوا ارشادها وانتقلت منذ سنة ١٧٥٠ الى دير بكركي حيث لعبت ادوارًا عجيبة أدّت الى بذر القلاقل ونشر الفساد في كلّ انحاء لبنان الى أن توسّط في الامر الكرسي الرسولي وحسم الداء بقوّة بعد ان كاد يتفاقم فأيس من شفائه. والحق يقال انّنا بعد قراءتنا هذا الكتاب خُيّل لنا أنّنا حلمنا حلمًا او اصابنا كابوس مؤلم فلم نكد نصدّق مضامينه لولا الآثار المتعدّدة المثبتة بصحّة الخبر فردّدنا مع بعض من قرأوه مثلنا يا ليت هذا الكتاب لم يُنشر فينكي ما اندمل من الجروح ل.ش

شذرات

المقتطف والاستاذ هكل كنّا اخذنا على صاحب المقتطف في عدد سابق (ص ٢٣٨) سكوتهُ في مقالته على الدروزيّ هكل عن مكر ذلك الكاتب وتزويراته الغريبة لتأييد رأيه بالكذب والبهتان وكأنّ غيرنا ايضًا نبّهوا فكر مدير المقتطف الى الامر فاقرّ بسذاجة في عدد نيسان (ص ٤٠٨) بخطإ ذلك الخدّاع وان اجتهد غاية امكانه في تخفيف ذنب لو صدر من غيره لشدّدت المجلّة عليه نكيرها. ومهما اعتذرت به لتصرف اللوم عنها انّها نقلت كلامها عن «سكلوبيذا تشمبرس» المطبوعة ١٩٠٦. وهو عذر اقبح من ذنب لانّ المجلّات العلميّة لا يمكنها ان تجهل ما طفحت بها المجلّات منذ ثلاث سنوات حتى علم بالامر كل قرّاء الجرائد الّا مديري المقتطف!! ولا تظنّ ايها القارئ انّ اصحاب المقتطف كفّوا بعد هذا عن قولهم في النشوء والارتقاء سواء كان على المذهب الدروزي او على رأي هكل ودونك مثالًا جديدًا على لزومهم خطّة الدهريين جوابًا على من سألهم هل يقضي مذهب النشوء بان الروح ماديّة فاجابوا:

لا يقتضي مذهب النشوء والارتقاء ان تكون الروح ماديّة بالمعنى الذي تفهمهُ من المادّة (وماذا تفهمون من المادّة!) ولكن من العلماء من يذهب الى انّ ما ندركهُ بالحواسّ ونسمّيهِ مادّة

هو حركة في جواهر المادَّة الاصليَّة (وما هي تلك الحركة الاصليَّة ؟) وحينئذٍ فلا مانع من ان تكون الروح ماديَّة والمادَّة روحاً اي يكون الوجود شيئاً واحداً يتكيَّف على كيفيات مختلفة فيصير هواء وماء وتراباً ومعدناً وشجراً وحيواناً ولا يستبعد العقل ان تكون الروح والمادَّة من اصل واحد ولا يستبعد ان يكون التراب والورد والفرس من اصل واحد . . . .

وبينما يخلط المقتطف بين المادَّة والروح قامت مجلَّة الهلال فوضعت مقالةً مطوَّلةً في عدد نيسان (ص ٤٠٢) لم تكتفِ ان تنكر فيها صحَّة البرقيم مع كونها دافعت هي عنهُ مراراً وفي اعداد المقتطف الاخيرة عدَّة مقالات في ذلك بل انكرت ايضاً وجود الارواح فضربت بنوع آخر على نغمة المقتطف قالت وبئس القول الذي يردهُ العقل والنقل معاً :

كل الاديان القديمة تقول بوجود الارواح . . وما زال الاعتقاد بوجودها عاماً في الاجيال التاريخيَّة حتى كانت النهضة العلميَّة في التمدُّن الحديث واساسها العلم الطبيعي المبني على المشاهدة والاختبار . .

وقس عليهِ بقيَّة المقالة التي عاد فيها صاحب الهلال الى سفسطتهِ السابقة وادَّعى فيها انَّ العلم ينكر ما تثبتهُ الاديان كأنَّ العلم والدين متناقضان !!

تتابع الاديان وهاك دليلاً آخر على فلسفة اصحاب المقتطف في عدد مارس من هذه السنة (ص ٣٠٧) فهناك فصل عنوانهُ « تتابع الاديان » نُقل فيهِ عن الاستاذ سايس بانَّ جبل موريا حيث قدَّم ابراهيم ابنهُ للرب كان قبل الخليل حرَماً دينيًّا وانَّ في بلاد النوبة كان معبد لقدماء المصريين اتَّخذهُ من بعدهم النصارى ثم المسلمون في اثرهم فاستنتج المقتطف من هذا التتابع انهُ « قلَّما ينشأ دين في مكان من الامكنة الَّا واقتبس شعائر الدين الذي كان من قبلهِ في ذلك المكان » فيا لها من نتيجة لم نجدها في المقدَّمات فكيف نسي اصحاب المقتطف قواعد المنطق وهم « دكاترة في الفلسفة » . معلوم ان جامع الامويين في دمشق كان قديماً كنيسة وكانت هذه الكنيسة هيكلاً للرومان قبل النصرانيَّة أفيجوز لك ان تقول انَّ الديانة التالية اقتبست من شعائر الديانة التي سبقتها ولنَّ الاسلام مثلاً اخذ في دمشق عن النصرانيَّة كما ان النصرانيَّة اخذت عن الوثنيَّة . وعلى فرض انهُ وُجد شيءٌ من العادات الدينيَّة متشابهاً بين هذه الاديان المتتابعة افيكون ذلك سبباً للقول بانَّ الدين التالي اخذ من السابق وان يبني اصحاب المقتطف على هذا الاساس الضعيف بناء زعمهم الباطل الذي اشعروا فيهِ بتساوي كل الاديان في كونها جعليَّات واختراعات بشريَّة ؟

اسئلة واجوبة

س وردت علينا الرسالة الآتية من احد مشايخ طرابلس فنثبتها بالحرف:

«قد قالت احباؤنا المسيحيون انّ الاب والابن والروح القدس اله واحد ومن المعلوم بداهةً انّ الواحد غير قابل التجزّئ فاشكل عليّ امر الدفن هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت ام افترقا فان قلتم افترقا تكونوا حكمتم بان اللاهوت غير الناسوت وثبت انهُ اكثر من واحد وان قلتم بدفن الجهتين تكونوا حكمتم بدفن اللاهوت وهذا غير جائز»

هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت

ج يعلم كل النصارى انّ وقت موت السيّد المسيح لم ينفصل لاهوتهُ عن ناسوته بل كان اللاهوت في تمامهِ مع الجسد المقبور كما كان مع النفس المتحدرة الى مقام الابرار في الليمبوس المسمّى ايضاً بالجحيم ولا ينتج عن ذلك البتّة انّ اللاهوت دُفن لدفن جسد المسيح اذ لم يلحق اللاهوت اذًى بما حلّ في الناسوت كما انّ اللاهوت لم يأكل ولم يشرب ولم يمت لمّا كان المسيح في طبيعتهِ البشريّة يأكل ويشرب ويموت. اذ انّ الاكل والشرب والموت امور مختصّة بالناسوت دون اللاهوت ومثلهُ الدفن. وان احبّ المستفيد ادراك ذلك في مقالة مطوّلة فليراجع المقالات الدينيّة التي نشرناها في المشرق لبولس الراهب اسقف صيدا وقد طبعت على حدةٍ

س القى علينا احد الكهنة عدّة اسئلة في الغفرانات وكيفيّة استفادة الانفس المطهرية منها

فنقول بالاجمال انهُ من الامور المقرّرة التي يثبتها اللاهوتيّون بالادلّة النقليّة انّ الغفارين التي تمنحها الكنيسة للمؤمنين تفيد النفوس المطهريّة وتخفّف اوجاعها بعد الموت وتساعدها على التكفير عن خطاياها اما حدود هذه المنفعة واختصاصها وكيفيّة انتفاع النفوس بها فكلّ ذلك مشروط بعلمهِ وارادتهِ تعالى لا يمكننا ان نقطع بهِ ومن ثمّ لا يمكننا ان نجيب السائل عنها

س وسئلنا متى جرت في الكنيسة صلاة التبشير ثلاث مرّات في النهار

ج هذه الصلاة اوّل من امر بتلاوتها القديس بارنتورا في القرن الثالث عشر فتقدّم الى رهبان مار فرنسيس وهو رئيسهم بان يصلّوا السلام الملائكي ثلاث مرّات لاكرام سرّ تجسّد ابن الله. ثم انتشرت هذه العادة بين المؤمنين لمّا منح البابا يوحنا الثاني والعشرون غفرانًا لمن يتلوها صباحاً وظهراً ومساء وذلك سنة ١٣٢٧ واوصى بها الاحبار الرومانيّون والمجامع لاستدرار نعمهِ تعالى وردّ آيات غضبهِ